مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . المجلد 15 العدد 2 السداسي الثاني 2024/ - محرم 1446ه
ص ص: 133 – 170

❁ الحِكم الشَّرعيَّة والمِنح المرعيَّة من نزول المطر: تقصيد وترشيد

The legal ruling and the grants granted by the rain Rationalization and rationalization

د. ياسين بولحمار*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة، كليَّة الشَّريعة والاقتصاد، قسنطينة (الجزائر)

yassinboulahmar@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/10 تاريخ القبول: 2024/02/28 تاريخ النشر: 2024/09/15

ملخَّص:

تأتي هذه الوَرَقَات؛ لتَكْشِفَ عن بعض الحِكمِ الشَّرعيَّةِ، والمِنَحِ المرْعيَّةِ من نزولِ المطر، حتَّى يَقِفَ العاقِلُ على حَقيقَتِها وأبْعَادِها، ويَسْتَفيدُ الفاضِلُ من مَرَامِيها ومَقاصِدِها، متى نَظَرَ إليها بعَيْنِ الرِّضا والنَّفْعِ، وخَضَعَ لأحكام وحِكمِ الشَّرعِ، بَعيدًا عن تَطَلُّعاتِ الأهواءِ وتَفَلُّتاتِ الطَّبْعِ. والقصد من هذا؛ أنَّ تدبيرَ الله في هذا الوُجُود لا يكون إلاَّ لحِكم بالِغَة، ونِعَم سَابِغَة، وأفعالَهُ في السُّنَنِ الكُونيَّة لا تكون إلاَّ لمقاصِد دَامِغَة؛ تُقَوِّمُ الأفكارَ المُنْحَرِفَة وتُهدِّمُ النَّظريَّات الزَّائِغَة. وكلُّ ذلك يعودُ على المكلَّف بالخَيْرِ العَميمِ، والفَضْلِ العَظيمِ؛ إذا أحْسَنَ التَّدبُّرَ والامتثال.

الكلمات المفتاحية: الحِكم الشَّرعيَّة؛ المطر؛ المقاصد؛ التعليل؛ الإحياء.

Abstract:

These papers come; To reveal some of the legitimate government, and grants in force of the descent of the rain, so wise stands on the reality and dimensions, and benefit virtuous of its goals and objectives, when viewed with satisfaction and benefit, and subject to the provisions of the Islamic ruling, away from the aspirations of the passions and Tfeltat printing.The intent of this is; That God’s plan in this existence is only for an eloquent and gracious judgment, and His actions in the cosmic laws are only for compelling purposes; It corrects deviant ideas and destroys erroneous theories. All of this is due to the one who is responsible for the great good and the great merit. If it is better to reflect and compl.

Keywords: Décisions juridiques, pluie, buts, raisonnement et réveil.

مقدِّمة

إنَّ المَاءَ هو نِعْمَةُ الله العُظْمَى، وآية البَاري الكُبْرَى، التي أقامَ عليها فَلْسَفَةَ الحياةِ، وجَعَلَها قوام وُجُودِ جميع الكائِناتِ؛ من: إنسان وأشجار ونَبَات، وزُرُوع وثِمار وحَيَوَانات، فهو العُنْصُرُ الرَّئِيسُ لحَيَاتِهم، والذُّخْرُ النَّفيسُ لنَمائِهم؛ بل هو الحَجَرُ الأساسُ لبَقائِهم، ومَعْدَنُ الأَلْمَاس دون فَنَائِهم، وقَدَرُ النَّاس وأبنائِهم، فمِنْ قَطْرِهِ يَرْتَوُونَ، ومِنْ مَطَرِهِ يأكُلُونَ، وبِحَبَّاتِهِ يَزْرَعونَ، وبِبَرَكاتِهِ يَخْرُثُونَ، وصَدَقَ اللهُ العظيم إذ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وإنَّ نِقْمَةَ الجَدْبِ والقُنُوطِ وحُجُوزاتِ الأمطار، ونِعْمَةَ الخِصْبِ والسُّقُوطِ ومُعْجِزَاتِ الانْهِمار؛ لَهِيَ من أكبرِ الآيَاتِ وأكثر الدَّلالاَتِ على عَظَمَةِ الواحِد الجَبَّار، فمَن الذي أَنْشَأَهُ على هذا التَّرتيب العَجيب، ومن الذي هَيَّأَهُ على هذا التَّركيب المَهِيب؟، ومَن الذي اِبْتَدَأَهُ بنِظامٍ يَقوم على مَنْهَجٍ فَريد، ومَلأَهُ بإحْكامٍ مَرْقُوم بصَنْعٍ وَحيد؟، فلا يُرى فيه عَطَبٌ ولا فُطُور، ولا يَتَخَلَّلُهُ شَطْبٌ ولا قُصُور، ولا يُصِيبُهُ تَعَبٌ ولا فُتُور!!، إنَّها قُدْرَةُ الله جَلَّ شَأنُه وعَظُمَ فضلُهُ، ويكفي في الدَّلالةِ على ذلك قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[2]، وقوله أيضًا: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].

ومن الأُمُور المُسَلَّماتِ لَدَى أَهْلِ العُقولِ، وأصحابِ الفَهْمِ المَصْقُولِ؛ أنَّ نِعْمَةَ المِيَّاهِ والأمطار، لا يعرف قَدْرَها إلاَّ ذَوُو النَّظَرِ الثَّاقِب والاعتبار، متى تأمَّلوا في أحوالِ القَحْطِ والجَفَافِ، وأنعموا النَّظر في أَهْوَالِ غَوْرِ الماء والسَّنوات العِجَاف، عند مَنْ ابْتَلاَهُم اللهُ تعالى بأعْوَامٍ من الجَدْبِ والمَجَاعَةِ، وأيَّامِ القَحْطِ وساعاتِ الإضَاعَةِ، وما تُخَلِّفُ وَرَاءَها من: نَقْصٍ في الأرزاقِ والبِضَاعَةِ، وبَخْسٍ في زروعِ الجَمَاعَةِ، ويَبسٍ في الضَّرْعِ وقَطْعٍ للرَّضاعَةِ، والتي لا تَنْدَفِعُ إلاَّ برفع أكفّ الدُّعاء والاسْتِسْقَاء والضَّراعَةِ، فسألوهم في لَحَظاتِهم الصَّعْبَة ومرحلتهم العَصِيبَة عن: الزُّروع والثِّمار والمَاشِيَة، وعن الحيوانات بأنواعِها: الأصول والحاشِيَة، وعن حالاتِ الضُّرِّ الغابِرَة والفَاشِيَة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[4].

---

[1] سورة الأنبياء، 30.

[2] سورة النَّمل، 88.

[3] سورة لقمان، 11.

[4] سورة الملك، 30.

إلاَّ أنَّه لا يُستحسَنُ بالعاقل الفَقيهِ، ولا يَليقُ بالفاضِل النَّبيهِ؛ أن يَقِفَ عند هذه السَّطحيَّاتِ والظَّواهِر؛ بل عليه أن يَبْذُلَ جهدَه في معرفة المقاصِد الشَّرعيَّة والمِنَح المَرْعِيَّة والجَوَاهِر، من تَتَابُعِ سُقوطِ حَبَّاتِ الماء الزُّلال الطَّاهِر، وذلك بمحاولة الوُصُول إلى حِكمَة الأفعالِ بواسِطَة العِلَل وإلحاق الأَشْبَاهِ بالنَّظائِر، التي جَعَلَها الله جلَّ وعلا من خاصَّة أهل الفِقْهِ في الدِّين وذوي البَصائِر. فلقد: « شاءت قُدرَةُ الحكيم العَليم أن لا يَجْعَلَ أحكامَ شَرْعِهِ بَعيدةً عمَّا فَطَرَهُ في عُقُولِ البَشَرِ، من اكتشافِ العَلاقاتِ بين الأشياء وأسبابها، أو التَّشابُه بين الأمور ونظائِرها؛ لتقومَ الحُجَّةُ على العقلِ بالنَّصِّ، وليَتَمَكَّنَ العقلُ من إدراك حِكمة النَّصِّ، والمُقَايَسَة عليه بعد بَذْلِ الجهد؛ ضِمْنَ ما شَرَعَهُ اللهُ بوَسائل الاسْتِنْبَاطِ »[5].

إشكاليَّة البحث وتساؤلاته الفرعيَّة:

تتمثَّلُ إشكاليَّةُ هذه الورقات في بيان: الحِكم الشَّرعيَّة والمِنَح المَرْعِيَّة من نُزُول المَطَرِ؟ وتَفَرَّعَت عن هذا الإشكال الرَّئيس مجموعةٌ من التَّساؤُلاتِ الضَّروريَّة؛ هي:

- ما هي الحِكم الشَّرعيَّة من نزول المَطَرِ العائدة على العَبْدِ المؤمن؟
- هل هناك علاقة بين نُزُولِ المَطَرِ وعقيدة المؤمن وتَوْحيدِهِ لرَبِّهِ؟
- ما هي الحِكمة من وراء الحبس ثمَّ النُّزول للمَطَرِ؟

الدِّراسات السَّابقة للموضوع:

لقد حَازَت الأحكامُ الفِقهيَّةُ المُتعَلِّقَة بنُزُولِ المَطَرِ حَظًّا وَافِرًا من التَّأصيلِ والتَّدليلِ، فالكِتاباتُ فيها كثيرة، فما من مُصَنَّفٍ فِقْهِيٍّ في القديمِ أو الحديثِ إلاَّ ويحوي بين جَنَبَاتِهِ مسألة: الجَمْع بين الصَّلاتَيْنِ في اليوم المَطِيرِ، والتَّيمُّم أو المَسْح على الخُفَّيْنِ بسَبَبِ شِدَّة البَرْدِ، ومِقدار الزَّكاةِ إذا سُقِيَت بماء المَطَرِ لا بالآلةِ، والجَفَاف وأثره في إسقاط وُجُوبِ الزَّكاةِ؛ ونحوها، أمَّا عن جانبِ الحِكم الشَّرعيَّةِ والمِنَح المَرْعِيَّةِ من نُزُولِ المَطَر؛ فلا دراسة مُعاصِرَة تخدُمُ عين المسألة حسَب علمي القاصِر وجهدي المُحْتَشَم.

[5] بعداش، **أثر الاختلاف في التَّعليل في الفقه الإسلاميّ**، (دار الكلمة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1437هـ، 2017م)، (ص/05).

منهج البحث وآليَّاته:

اعتمدتُ في هذه الوَرَقات على " **المنهج الاستقرائيّ** "؛ وذلك بمحاولة تَقَصِّي المُصَنَّفاتِ، واستقراء الأقوال والأبحاث، التي تَحَدَّثَت عن بعض الحِكم الشَّرعيَّة من نُزُولِ المَطَرِ، على اختلافِ مَذَاهِبِها ومَشَارِبِها، كما اعتمدتُ على " **المنهج التَّحليليّ** "؛ عند تحليلِ نُصُوصِ أَهْلِ العِلْمِ، وتفسير أقوالِهم، وبَسْطِ ما جَلَبُوهُ من المشاهِد والفوائد، وتبريز علاقتها بالمقاصِد.

تصميم البحث وتنظيمه:

أقمتُ هذا البحث على مُقدِّمةٍ راسِمَة للمُوضُوعِ، ثمَّ أتبعتُه بطَرْحِ إشكاليَّة البحثِ الرَّئيسة، وما يتفرَّعُ عنها من تَسَاؤُلاتٍ ضَروريَّة لا تَنْفَكُّ عنها في غالبِ الأحوالِ، مع تجليَّةٍ مختصرةٍ لأهمِّ أسباب اختيَّار الموضوع، وبواعث الكَتْبِ فيه، بالإضافة إلى توضيحِ أهداف الدِّراسة ومَرَاميها التي تَطْمَحُ إليها، والكشف عن المناهج المُعتمدة والحدود المُرْتَسَمَة في هذه الوَرَقات. ثمَّ جاء الموضوعُ محلّ الدِّراسة؛ فكان عبارة عن عَقْدٍ منظوم من الحِكم والأسرار، والمِنَح الغِزار، وَاحِدًا تِلْوَ الآخر بحسَبِ ما جرَّ إليه البَحْثُ وأملاهُ التَّأمُّل. ثمَّ خاتمة تضمَّنت النَّتائج المُتوصَّل إليها، وتوصيَّات البحث وآفاقه المُستقبليَّة، مع تذييلها بقائمة مُفصَّلة للمَصادِر والمراجع المعتمدة.

الحكمة الأولى: توحيد الله والتَّدبُّر في خلقه وبيان عظمة قدرته:

إنَّ الماء هو العنصر الأساسيّ في هذه الحياة، والنَّواة الأولى التي بُنِيَت عليها فلسفة البقاء لدى جميع الكائنات، وإليه تفتقرُ كلُّ العناصر ومختلف المُكوِّنات؛ التِّي بثَّها الله سبحانه وتعالى على وجه هذه البسيطة، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[6].

قال الرَّازيّ: « اعْلَمْ أنَّه سُبحانَه وتعالى **شَرَعَ الآنَ في الدَّلائلِ الدَّالَّةِ على وُجُودِ الصَّانِع، وهذه الدَّلائلُ أيضًا دَالَّةٌ على كَوْنِهِ مُنَزَّهًا عن الشَّريك**؛ لأنَّها دَالَّةٌ على حُصُولِ التَّرتيبِ العجيبِ في العالَمِ، ووُجُودُ الإلَهَيْنِ يقتضي وُقُوعَ الفَسَادِ. فهذه الدَّلائلُ تَدُلُّ من هذه الجِهَة على: **التَّوحيدِ**؛ فتكون كالتَّوكيدِ لِمَا تَقَدَّمَ، وفيها أيضًا: **رَدٌّ على عَبَدَةِ الأوثَانِ**؛ من حيث إنَّ الإلَهَ القادِرَ على مِثْلِ هذه المخلوقاتِ الشَّريفة كيف يجوزُ في العقلِ أن يَعْدِلَ عن عِبادَتِهِ إلى عِبادَةِ حَجَرٍ لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ؟ »[7].

فاللهُ جلَّ وعلاَ يقول مُنَبِّهًا على تمامِ قُدْرَتِهِ، وكمَالِ عَظَمَتِهِ، ومُنَوِّهًا بسُلطانهِ القديم، وجَبَرُوتهِ العَظيم، في خَلْقِ الأشياء وإيجادِها، وقَهْرِهِ للمَخْلُوقاتِ بمجمُوعِها وآحَادِها؛ ألم ينظر الذين كَفَرُوا برَبِّهِم، وبَتَرُوا أَوَاصِرَ بِرِّهِم وحُبِّهِم؛ أي: الجاحِدُونَ لإلَهِيَّتِهِ، العابِدُونَ لِمَا صَغُرَ من خَلتنتتِيقَتِهِ؛ ألم يعلموا أنَّ اللهَ هو المُستَقِلُّ بالخَلْق والتَّدْبِير، والمُسْتَبِدُّ بالتَّصريفِ والتَّسْخير، أفلا يُشاهِدُونَ السَّماوات والأرضَ فيجدونهما رَتْقًا؛ أي: كان الجميعُ مُتَّصِلاً بَعْضُه ببَعْضٍ، مُتَلاصِقٌ مُتَراكِم، ومُتلاحِقٌ مُتزاحِم؛ بعضُهُ فَوْقَ بعض في ابتداء الأمر، فهذه جامِدَةٌ؛ ليس فيها سَحابٌ ولا أمطار، وهذه مَيِّتَةٌ هامِدَةٌ؛ لا نبات ولا أشجار، " ففَتَقْنَاهُما "؛ بمعنى: فُتِقَت هذه من هذه، فجعلَ السَّماوات سَبْعًا، والأرض سَبْعًا، وفَصَلَ بين سماء الدُّنيا والأرض بالهواء، فأمْطَرَت السَّماءُ ونَزَلَ الماء، وأَنْبَتَت الأرضُ واخْضَرَّت في كلِّ الأنحاء، أليس الذي أَوْجَدَ في السَّماء السَّحابَ المُتَفَتِّق، وأَوْدَعَ فيه الماء الغَزيرَ المُتَدَفِّق، ثمَّ سَاقَهُ إلى

[6] سورة الأنبياء،30.

[7] الرَّازيّ، **مفاتيح الغيب أو التَّفسير الكبير**، (دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط3، 1420هـ)، (136/22).

الأرض الجَرْدَاء المَوَات، والبَيْدَاء التي لا تَدُبُّ عليها حياة، ولا يَعْلُوها عُشْبٌ ولا يَكْسُوها نَبَات، قد أَغْبَرَت أَرْجَاؤُها، وقَحَطَ عنها ماؤُها؛ فأَمْطَرَت فيها، فاهْتَزَّت وتَحَرَّكَت، ورَبَت وأَنْبَتَت، من كلِّ زوجٍ بهيج، مختلف المطالع والأصناف، ومُتَعدِّد المنافِع والألطاف، أليس ذلك دَلِيلاً على أنَّه الرَّبُّ المحمود، والكريم المعْبُود، ولهذا قال:" أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ "؛ إيمانًا رَزِينًا صَحيحًا، ويوقنون يَقِينًا رَصينًا رَجِيحًا، ما فيه تَرَدُّدٌ ولا شَكّ، ولا يَعْتَرِيهِ نِدٌّ ولا شِرْك، وهم يشاهِدُون الآيات البَيِّنات، ويَقِفُونَ عند عجائب المخلوقات، التي تَدُلُّ على أنَّه الحقُّ المُبِين، وما سِوَاه باطِلٌ بلا رَيْبٍ ولا مَيْن[8].

فمن الذي كوَّنَ هذا التَّرتيب وألانَ ما فيه من روائع النِّظام؟ ومن الذي أقام كلَّ شيء في مكانه بدقَّة مُتناهيَّة وغاية في الجودة والإتقان، وأحاطَهُ بعين الرِّعاية وتمام العناية والإحكام؟ فلا يَتَأَتَّى منه: خَطَأٌ، ولا خَطَلٌ، ولا خَرابٌ، ولا انهدام؛ ولا يصيبه: خَوَرٌ، ولا خَرْقٌ، ولا خُمُولٌ، ولا اصطدام؛ ولا يلحقه: خَللٌ، ولا زَلَلٌ، ولا عَطَلٌ، ولا عِلَلٌ، ولا إخلال؟ إنَّها قدرة الله ربّ العزَّة والجلال؛ وصدق حين قال: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[9]. فالله عزَّ وجلَّ قد: « أحْكَمَ خلقه وسَوَّاهُ على ما ينبغي،... **قَصَدَ به:** التَّنبيه على عظم شأن تلك الأفاعل وتهويل أمرها، والإيذان بأنَّها ليست بطريق إخلال نظام العالم، وإفساد أحوال الكائنات بالكليَّة؛ من غير أن تدعو إليها داعيةٌ، ويكون لها عاقبة؛ بل هي من قبيل بدائع صنع الله المبنية على أساس الحكمة المُسْتَتْبَعَة للغايات الجميلة؛ التي لأجلها رُتِّبَت مُقَدِّمات الخلق، ومبادى الإبداع، على الوجه المتين، والمنهج الرصين »[10].

---

[8] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ، 1999م)، (338/5 – 339)، السَّعديّ، **تيسير الكريم الرَّحمان في تفسير كلام المنَّان**، (تحقيق: عبد الرَّحمان بن معلاَّ اللّويحق، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م)، (ص/522).

[9] سورة النَّمل، 88.

[10] المولى أبو الفداء، **روح البيان**، (دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت)، (376/6).

فمتى وَقَفَ المؤمنُ على هذا المقصد العَظيم؛ فتَدَبَّرَ في عَظَمَةِ الله وقُدْرَتِه، وتَفَكَّرَ في جَلال جَبَرُوتِهِ وكمال قُوَّتِه؛ ونَظَرَ في مُنْتَهَى إتقانهِ وحِكْمَتِهِ؛ صَارَ من أصحاب التَّمْكين، وسَارَ مع عباد الله السَّالِكين؛ الذين يسْكُنُون بنُفُوسِهِم في أماكِنِهم دون حَلْحَلَةٍ، ويَسِيحُون في المَلَكُوتِ بأَسْرَارِهِم دون قَلْقَلَةٍ، فيحقُّ فيه أن يكون من العارفين، وهو كما قالوا:« العارِفُ كائِنٌ بائِنٌ؛ كائِنٌ: مع النَّاسِ بظاهِرِهِ، بائِنٌ: عن جميع الخَلْقِ بسَرَائِرِهِ »[11]. ولذلك اسْتَنْكَرَ الله تعالى على الذين هَامُوا على وُجُوهِهِم ووَلُّوا أدْبَارَهم، وعَبَدُوا ما عَبَدَ آباءُهُم واقْتَفُوا آثارَهُم، فَصَمُّوا آذانَهُم وعَمُّوا أبْصَارَهُم، وتَنَاسُوا ما ضَرَبَ اللهُ لهم من الأمثال والخَلاَئق، وما رَسَمَ أمامَهُم من الدَّلائل والطَّرَائق، وما أعطاهم من المسائل والحَقَائق؛ فتَحَدَّاهُم جلَّ شأنُهُ وعَظُمَ فضلُهُ؛ فقال: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[12]. يقول ابن عاشور في تفسيرها: « اسْتِئْنَافٌ للاسْتِدْلالِ على الذين دَأْبُهُمُ الإعراضُ عن آياتِ اللهِ؛ بأنَّ اللهَ هو خالِقُ المخلوقاتِ؛ فلا يَسْتَحِقُّ غَيْرُهُ أن تُثْبَتَ له الإلَهِيَّةُ؛ فكان ادِّعَاءُ الإلَهِيَّةِ لغير الله هو العِلَّةُ للإعْرَاضِ عن آياتِ الكتابِ الحكيمِ، فهم لَمَّا أَثْبَتُوا الإلَهِيَّةَ لِمَا لا يَخْلُقُ شيئًا؛ كانوا كَمَنْ يَزْعُمُ أنَّ الأصنامَ مماثلة الله تعالى في أوصافه؛ فذلك يقتضي انْتِفَاءُ وَصْفِ الحِكمَةِ عنه كما هو مُنْتَفٍ عنها. ولِذَا؛ **فإنَّ مَوْقِعَ هذه الآياتِ مُوقِعُ دليلِ الدَّليلِ، وهو المقامُ المُعَبَّرُ عنه في عِلْمِ الاستِدلالِ بـ: التَّدقيقِ؛ وهو ذِكْرُ الشَّيءِ بدَلِيلِهِ، ودَلِيلِ دَلِيلِهِ** »[13].

والمعنى: أيُّها الجَاحِدُون المُرْتَابُون: هذه آياتُ الله منشورة أمامَكم، ويا أيُّها المُعانِدُون المُكذِّبُون: هذه مخلوقاته منثورة قُدَّامَكم؛ فهَاتُوا بُرْهانَكم إن كنتم صادقين، واقطعوا الشَّك الذي أنتم فيه باليَقين، ماذا خَلَقَ الذين من دونه؛ ممَّا اتَّخذتموهم شُركاء له سُبْحَانَهُ في العبادة، ثمَّ يقول:" بل الظَّالمون في ضلال مُبين "؛ هذا إضرابٌ وتَبْكيتٌ، وتَعْجيزٌ لهم وتَسْكيتٌ، ثمَّ تسجيل عليهم بالضَّلال المُبين، والانحراف المُقيم، المُسْتَدعي للإعراض

---

[11] القُشَيْرِيّ، **لطائف الإشارات**، (تحقيق: إبراهيم البسيونيّ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، مصر، ط3، د.ت)، (51/3).

[12] سورة لقمان، 11.

[13] ابن عاشور، **التَّحرير والتَّنوير**، (الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر، تونس، د.ط، 1984م)، (145/21 - 146).

عن مُخاطبتهم بالمُقدِّمات المَعْقُولة، والمُسلَّمات المقبولة؛ لاستحالة أن يفْهَمُوا منها شيئًا فيَهْتَدُوا به إلى العِلم ببُطلان ما هم عليه، أو يتأثَّروا من الإلزام والتَّبكيت فينزجروا عنه، ووضع الظَّاهر موضع ضميرهم؛ للدَّلالة على أنَّهم بإشراكهم واضعون للشَّيء في غير مَوْضِعِهِ، ومُتعدُّون لحدوده وشَرْعِهِ، وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعِقابِ الآبِد، والعَذابِ الخالِد[14].

الحكمة الثَّانيَّة: التَّذكير بصفة من صفات الله وهي الرَّحمة:

إنَّ نزول الغيث تذكيرٌ بصفة من صفات الله تبارك وعلا وهي الرَّحمة، فهو سبحانه رحيمٌ بعباده، ومن آثار رحمته إنزاله للغيث من السَّماء سُقيًا لمخلوقاتهِ، وإحياءً لكائناتهِ، ففيه من صُوَر الرَّحمة ما لا تخفى على كيِّس عاقل، ومن مظاهر الرَّأفة ما لا تنوء بالإتيان به المجامع والمحافل، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ "[15].

لمَّا ذكر المولى الرَّحيم ظهور الفَسَاد في البلاد، والهلاك الذي عَمَّ العُصاة والبُغاة من العِباد؛ بسَبَبِ شِركِهِم وضَلالِهِم، وابتعادِهم عن نور الحقِّ وكَثْرَةِ انحرافِهِم وانْحِلاَلِهِم؛ أَتْبَعَهُ بذكر بزوغ شمس الفَأْلِ والصَّلاح، ونُبُوغ طَلائِع البَشَائر والفَلاحِ، ولم يجعل لذلك سَبَبًا يُذْكَرُ من الأعمال الصَّالِحة، ولا القُرُبات الرَّابِحَة؛ لأنَّ الرَّحيمَ لا يجعل لإحسانهِ عِوَضًا مَدْفُوعًا، ولا أَجْرًا مَتْبُوعًا، ولا مُقابلاً مَشْفُوعًا؛ ولكنَّهُ يَذْكُرُ لأَضْرَارِهِ أسبابًا جامِعَة، وعِلَلاً دافِعَة؛ لِئَلا يُتَوَهَّم به الظُّلم والاعتداء. فكان من آثار تلك الطَّلائع: إرسال الرِّياح مُبشِّرات بإثارة السَّحابِ، وتجميعها للأسبابِ، فتُبشَّرَ النُّفوس والقُلُوب، بذلك التَّحَرُّكِ والهُبُوب، قبل وُصُولِ الغيث ونزولهِ، وانهمار الماء وحُلُولهِ. **والعِلَّة في ذلك:** ليُذيقَ النَّاسَ من رحمتهِ، والإذاقة تُقال في الشَّيء القليل، والأمر الصَّغير الضَّئيل، لأنَّ الدُّنيا متاعُها قليلٌ، وزوالها وَشِيكٌ، ورَاحَتُها نَزَرٌ، وأمَّا في الآخرة فيرزقهم، ويوسِّع عليهم، ويديم لهم، فإذا نزلت الأمطارُ

[14] ينظر: القاسميّ، **محاسن التَّأويل**، (تحقيق: محمَّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ)، (26/8 - 27).

[15] الرُّوم، 46.

حَيِيَت البلاد والعباد، ورَتَعَت البهائمُ والدَّواب، وجَرَت الفُلك بأمره في بحره، وإنَّما سيرُها بالرِّيح؛ ليبتغي النَّاسُ من فضل ربِّهم في المعايش والتِّجارات، والسَّير في كافَّة الأقطار والاتِّجاهات. فيعلم الخلقُ أنَّ رَحْمَتَهُ هي المُنْقِذَةُ لهم من الهلاك والانسداد، والجالبة لأرزاقهم من كلِّ واد، فيَشْتَاقون إلى الإكثار من الأعمال الصَّالحة الفاتِحَة لخزائن رَحْمَتِهِ[16]. ولذلك قال تعالى بعدها بآيات: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[17].

وقال جلَّ شأنه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[18].

فالله تعالى هو مُنزِّلُ الغيث؛ **والغَيْثُ هو**: المَطَر الغَزير، والمُنْهَمِرُ الكثير، الذي تَحْيَا به البلادُ والعِبادُ، وتَنْتَعِشُ به حياتُهم بعد طُولِ تَرَقُّبٍ وانتظار، من انحباس القَطْر ونَدْرَةِ الأمطار، حتَّى إذا ظَنُّوا أنَّهم قد شَارَفُوا الهلاك وعايَشُوا البَوار، وعَزَمُوا على التَّكيُّفِ مع هذه الأوضاع وعملوا لذلك أَعْمَالاً، وزادتهم هاذيك الظُّروف تَضَرُّعًا إلى ربِّهم وإقْبَالاً، واجتهدوا في مَرْضاتِهِ اِسْتِسْقَاءً وسُؤالاً؛ أنزَلَ المولى الرَّحيمُ الغيثَ عَذْبًا زُلاَلاً، نافعًا وسَلامًا، **فتَنْتَشِرُ رَحْمَتُهُ**؛ أيْ: بركات الغَيْثِ ومنافعه في كلِّ شيء؛ من: السُّهول والجبال، والنَّبات والحيوان، فيحصلُ الانتشار والانفكاك بعد الانحصار والهلاك، وتمتلئ الضِّفاف والخِصْب بعد الجفاف والجَدْبِ، وتَزْهُو الدُّنيا بالثِّمار والحَصَاد بعد زَمَنِ الانْكِسَارِ والكَسَاد، وتَنْبَعِثُ الحياة بعد جُثَثِ المَوات. فذكرَ جلَّ وعلا انتظامًا أوليًّا، وترتيبًا عَلِيًّا؛ **فالمُراد بالرَّحمة**: المطر، فذكرَ المطرَ مرَّتَين: الغيث؛ لأنَّه يُغيثُ في الشَّدائد والمُلمَّات، والرَّحمة؛ لأنَّه رأفةٌ وإحسان، وهو الولي: للصَّالحين من عباده بالإحسان إليهم، وجلب المنافع ورفع الشُّرور عنهم، وهو الحميد: المستحقُّ للحمد والثَّناء منهم على إنعامه خصوصًا وعمومًا[19].

---

[16] ينظر: الرَّازيّ، **مفاتيح الغيب**، (107/25)، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (321/6)، السَّعديّ، **تيسير الكريم الرَّحمان**، (ص/643).

[17] الرُّوم، 50.

[18] الشُّورى، 28.

[19] ينظر: ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، (تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان، النَّاشر: حسن عبَّاس زَكيّ، القاهرة، د.ط، 1419هـ)، (217/5)، القنَّوجيّ، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (عُنِيَ بطبعه وقدَّم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاريّ، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، د.ط، 1412هـ، 1992م)، (303/12)، السَّعديّ، **تيسير الكريم الرَّحمان**، (ص/758).

الحكمة الثَّالثة: الدَّعوة إلى الاجتهاد في الطَّلب والدُّعاء:

إنَّ نزول الأمطار وتهاطلها، وسُقوط حبَّات الغيث وتتابعها؛ من المواطن المباركة، والأزمنة الفاضلة، التي تشرئبُّ فيها القلوبُ والأرواح، إلى الدُّعاء الصَّادق والسُّؤال المِلْحَاح، بحسن الطَّلب وزيَّادة الاطِّراح، فالدُّعاء والمطر ينزل من لحظات القبول والإجابة، التي وَعَدَ الله بها عبادَهُ، ودعاهم إلى الاجتهاد فيه وإخلاص العِبادَة. **وأصلُ هذا المقصد؛** ما جاء عن سَهْلِ بن سَعْدٍ ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: « ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا »، وزاد في رواية: « وَتَحْتَ الْمَطَرِ »[20]. **وقوله:" تَحْتَ الْمَطَرِ "**؛ يعني:« دعاء من هو تحت المطر لا يردُّ، أو قلَّما يردُّ؛ فإنَّه وقت نزول الرَّحمة، لا سيَّما أوَّل قطر السَّنَة »[21].

وعن أنس بن مالك ﷺ؛ قال: « أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى »[22]. **ومعنى:" حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ "**؛ أي: « بتكوين ربّه إيَّاه؛ ومعناه: أنَّ المطر رحمة، وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى؛ فيتبرَّك بها »[23].

---

[20] أبو داود، **سنن أبي داود**، (تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت)، كتاب: الجهاد، باب: الدُّعاء عند اللِّقاء، رقم (2540)، (21/3)، الطَّبرانيّ، **المعجم الكبير**، (تحقيق: حمدي عبد المجيد السّلفيّ، مكتبة ابن تيميَّة، القاهرة، ط2، د.ت)، رقم (5756)، (135/6)، الحاكم، **المستدرك على الصَّحيحين**، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1990م)، حديث عبد الله بن يزيد الأنصاريّ، رقم (2534)، (124/2)؛ وقال:" **هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يُخرِّجاه** "، البيهقيّ، **السُّنن الكبرى**، (تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م)، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: طلب الإجابة عند نزول الغيث، رقم (6459)، (502/3). قال الألبانيّ:" **حديث صحيح دون الزِّيَادة، وقد صحَّحه: ابن خُزَيْمة، وابن حبَّان، والحاكم، والذَّهبيّ، وكذا ابن الجارود، وأمَّا الزِّيَادة فهي حسنة** ". الألبانيّ، **صحيح سنن أبي داود**، (مؤسَّسة غراس للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، ط1، 1423هـ، 2002م)، رقم (2290)، (294/7).

[21] المناويّ، **فيض القدير شرح الجامع الصَّغير**، (المكتبة التِّجاريَّة الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ)، (340/3).

[22] مسلم، **صحيح مسلم**، (تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت)، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: الدُّعاء في الاستسقاء، رقم (898)، (615/2).

[23] العزيزيّ، **السِّراج المنير شرح الجامع الصَّغير في حديث البشير النَّذير**، (د.د، د.ط، د.ت)، (74/3).

وممَّا يشهد لهذا المقصد أيضًا؛ ما رواه الشَّافعيُّ عن مَكْحُول الدِّمشقيّ مُرسَلاً؛ قال: قال رسول الله ﷺ قال: « أُطْلُبُوا إجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَنُزُولِ الْغَيْثِ »[24].

الحكمة الرَّابعة: الدَّعوة إلى لزوم الاستغفار وترك الذُّنوب والمعاصي:

إنَّ: « ما تُبْتَلَى به الدِّيارُ من قلَّةِ الغيثِ ونقصِ الأمطارِ، وما ينشأ من غورِ مياهِ العُيونِ والآبارِ، وما ينالُ المواشي والزُّروعَ من نقص وأضرارٍ؛ ليس ذلك لعَمْرُو اللهِ من نَقْصٍ في جودِ الباريْ جلَّ شأنُهُ وعَظُمَ فضْلُهُ، ولا نقصٍ ممَّا بيَمينهِ؛ بل إنَّ يمينَهُ سبحانه مَلْأَى لا يَغيضُها نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيل والنَّهار، ولكنَّ سبب ذلك كلِّه – وربِّكم – إضاعةُ أمرِ اللهِ، والتَّقصيرُ في جنبِ اللهِ »[25]. فإنَّ من الأمور المُسلَّمات؛ أنَّه: « لا تفسُدُ الأحوالُ، ولا تَضْطَرِبُ الأوضاعُ، في كثيرٍ من الأُمَم والشُّعوب؛ إلاَّ بطُغيان الشَّهواتِ، واختلاطِ النِّيَّاتِ، واختلافِ الغِيَر – التَّقلُّبات وتغيُّر الأحوال – والمُدَاهَناتِ. لا تكونُ ضَعَةُ المجتمعاتِ، ولا ضياع الأمم إلاَّ حين يُترَكُ للنَّاس الحبلُ على الغارب، يعيشون كما يشتهون، بالأخلاق يعبثون، وللأعراض يَنْتَهِكون، ولحُدُودِ اللهِ يَتَجَاوَزُون، من غير وَازِعٍ ولا ضَابِط، وبلا رَادِعٍ ولا زَاجِر ... فإذا كَثُرَ الخبثُ اسْتَحَقَّ القومُ الهلاك، وبكثرة الخبث تُنتَقص الأرزاق، وتنزع البركات، ويعمُّ الفسادُ، وتَفْشُو الأمراضُ، وتَضْطَرِبُ الأحوالُ »[26].

فمتى تعجَّلوا بالإنابة واهتبلوا الرُّجوع، وبادَرُوا بالتُّوبة وجَاهَرُوا بالخُنُوع، وأَحَلُّوا مكان السَّيِّئة الحسنة وبَدَّلُوا شَرَارَة المعاصي بحرَارَة الدُّموع، وغسلوا ذنوبَهم بطهور التَّسبيح والاستغفار؛ كشفَ الله ما بهم من قَحْطٍ وجفاف وطقس حار، وأكرمهم بنزول البركات

---

[24] الشَّافعيّ، **الأم**، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، 1410هـ، 1990م)، (289/1). **والحديث حسَّنه الألبانيُّ**. ينظر: الألبانيّ، **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، بدأت عام: 1415هـ، 1995م، وانتهت عام: 1422هـ، 2002م)، رقم (1469)، (453/3).

[25] ابن حميد، **توجيهات وذكرى**، (دار التَّربيَّة والتُّراث، مكَّة المكرَّمة، مكتبة الضَّيَّاء، جدَّة، ط1، 1419هـ)، عنوان الخطبة:" **خطبة الاستسقاء** "، (241/3).

[26] ابن حميد، **توجيهات وذكرى**، (243/3 - 244).

والأمطار. **وأصل هذا المقصد؛** قول الحق سبحانه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[27]، وقوله أيضًا: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[28].

يقول أبو زهرة في تفسيرهما: « "اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ": أي اطْلُبُوا الغُفْرَان؛ بأن تَعْبُدوهُ وَحْدَهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وعَبَّرَ بـ: "رَبِّكُم"؛ للإشارَة إلى ما يَبْعَثُهم على عِبادَتِهِ، وهو أنَّه الذي خَلَقَهُم ورَبَّهُم، ودَبَّرَ أمورَهُم بحِكمتهِ وإرَادَتِهِ، ويُبَيِّنُ سُبحانَهُ ما يَتَرَتَّبُ على الاستغفار، وهو ذاته مِمَّا يُوجِبُ العِبادَة؛ فقال تعالى: "يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا"؛ المُراد: المطر، وعَبَّرَ عنه بمكان نزولِهِ من قبيل: "إطلاق المحلّ وإرادة الحال"، و: "مِدْرَارًا"؛ أي: كثيرًا، يَنْبُتُ به زَرْعُكم، ويكون قوام حياتكم، وفي ذلك الخير فائدتان: **الفائدة الأولى:** أنَّ القُرْبَ إلى الله، وعبادته الخالصة؛ يَبْسُطُ اللهُ بهما الرِّزْقَ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[29]. **الفائدة الثَّانية:** تذكيرهم بنِعَم الله تعالى عليهم؛ وهي تُوجِبُ أن يؤمِنُوا بَدَلَ أن يُشْرِكُوا، ويقول سُبْحَانَهُ على لسان نَبِيِّهِ هود: "ويزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ"؛ أي: يزيدكم قُوَّةً مَضْمُومَةً إلى قُوَّتكم، فشُكر النِّعمة يزيدُها »[30].

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: « أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي

[27] نوح، 10 – 12.

[28] هود،52.

[29] الأعراف، 96.

[30] أبو زهرة، **زهرة التَّفاسير**، (دار الفكر العربيّ، د.ط، د.ت)، (3717/7).

أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ؛ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ[31]، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ؛ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ؛ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ؛ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ »[32].

وعن الشَّعْبِيِّ ﷺ؛ قال: « خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، فَمَا زَادَ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى رَجَعَ؛ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْنَاكَ اسْتَسْقَيْتَ؛ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ بِمَجَادِيحِ[33] السَّمَاءِ الَّتِي تُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ:

---

[31] **السِّنين**: جمع سَنَة، والسَّنَة هي: القَحْطُ والجَدْبُ، يُقال: أخذتهم السَّنةُ: إذا أجدبوا وأقْحِطُوا. ينظر: ابن الأثير، **النِّهاية في غريب الحديث والأثر**، (تحقيق: طاهر أحمد الزَّاويّ، ومحمود محمَّد الطّناحيّ، المكتبة العلميَّة، بيروت، د.ط، 1399هـ، 1979م)، مادَّة " سَنَه "، (413/2).

[32] ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، (تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، فيصل عيسى البابي الحلبيّ، د.ط، د.ت)، كتاب: الفِتَن، باب: العقوبات، رقم (4019)، (1332/2)، البزَّار، **مسند البزَّار**، (تحقيق: محفوظ الرَّحمان زين الله، وعادل بن سَعد، وصبري عبد الخالق الشَّافعيّ، مكتبة العلوم والحِكم، المدينة المنوَّرة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، بدأت عام: 1988م، وانتهت عام: 2009م)، رقم (6175)، (315/12)، الطَّبرانيّ، **المعجم الأوسط**، (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمَّد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ، دار الحرمين، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت)، رقم (4671)، (61/5)، الطَّبرانيّ، **مسند الشَّاميِّين**، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1984م)، رقم (1558)، (390/2)، الحاكم، **المستدرك على الصَّحيحين**، حديث أبي عوانة، رقم (8623)، (582/4)؛ وقال:" **هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يُخرِّجاه** "، بن أبي نُعَيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (دار السَّعادة، بجوار محافظة مصر، د.ط، 1394هـ، 1974م)، (333/8)، البَيْهقيّ، **شعب الإيمان**، (حقَّقه وراجع نصوصه وخرَّج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد النَّدويّ، مكتبة الرُّشد للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، الدَّار السَّلفيَّة، بومباي، الهند، ط1، 1423هـ، 2003م)، التَّشديد على منع زَكاة المال، رقم (3042)، (22/5). **والحديث صحَّحه الألبانيّ**. ينظر: الألبانيّ، **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة**، رقم (106)، (216/1).

[33] **مجاديح**: واحدها: مِجْدَحُ؛ وهو: كلُّ نجم من النُّجوم كانت العربُ تقول إنَّه يمطر به، كقولهم في الأنواء، والذي يُراد من هذا الأثر أنَّه جعل الاستغفار استسقاءً بتأوُّل قول الله تعالى::" اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) "، سورة نوح، الآية/10 – 11، فأراد عمر بن الخطَّاب – رضي الله عنه – هنا إبطال الأنواء، والتَّكذيب بها، فالمراد من قوله:" لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي تُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ "؛ أنَّه جعل الاستغفار هو المجاديح لا الأنواء. ينظر: القاسم بن سلاَّم، **غريب الحديث**، (تحقيق: محمَّد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانيَّة، حيد آباد، الدِّكن، ط1، 1384هـ، 1964م)، مادَّة " جدح "، (259/3 – 260).

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿10﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿11﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ [34]، ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [35] » [36].

وممَّا يخدم هذا المقصد ويزيده بيانًا؛ في أنَّ نزول المطر من حِكمه: الدَّعوة إلى لزوم التُّوبة وكثرة الاستغفار، والعزم على عدم العودة إلى ارتكاب المعاصي وإتيان النَّواهي؛ ما جاء عن عليّ بن أبي طالب ﷺ؛ قوله: « مَا نَزَلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ » [37].

وقال مُجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [38]: « البَهائمُ، قال:

---

[34] نوح، 10 – 12.

[35] هود، 52.

[36] الصَّنعانيّ، **المصنَّف**، (تحقيق: حبيب الرَّحمان الأعظميّ، المجلس العلميّ، الهند، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط2، 1403هـ)، باب: الاستسقاء، رقم (4902)، (86/3)، ابن سَعد، **الطَّبقات الكبير**، (علي محمَّد عمر، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، مصر، ط1، 2001م)، رقم (3994)، (298/3)، ابن أبي شيبة، **المصنَّف في الأحاديث والآثار**، (تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1409هـ)، من قال: لا يُصلِّي في الاستسقاء، رقم (8343)، (61/6)، الطَّبريّ، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م)، (633/23)، ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، (تحقيق: أسعد محمَّد الطَّيِّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط3، 1419هـ)، رقم (10960)، (2045/6)، الطَّبرانيّ، **الدُّعاء**، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ)، باب: ما يُستحبُّ من كثرة الاستغفار عند الاستسقاء، رقم (964)، (ص/299)، البَيْهَقيّ، **السُّنن الكبرى**، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: ما يُستحبُّ من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء، وأن يقول:" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا "، سورة نوح، الآية/10 – 11، رقم (6423)، (490/3).

[37] **أورده ابن القيِّم ولم يذكر سنده**. ينظر: ابن القيِّم، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي أو الدَّاء والدَّواء**، (دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ، 1997م)، فصل: المعاصي تزيل النِّعم، (ص/74). وأُخْرِجَ موقوفًا على العبَّاس – رضي الله عنه –؛ بلفظ:" **اللهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْشَفُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ** ". ينظر: الدّينوريّ، **المجالسة وجواهر العلم**، (تحقيق: أبي عُبَيْدة مشهور بن حَسَن آل سَلمان، جمعيَّة التَّربيَّة الإسلاميَّة، أم الحصم، البَحْرَيْن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د.ط، 1419هـ)، رقم (727)، (102/3)، ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، (تحقيق: عمرو بن غرامة العمرويّ، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1415هـ، 1995م)، (358/26)، ابن بشكوال، **المستغيثين بالله تعالى عند المُلمَّات والحاجات**، (دراسة وتحقيق: مانويلا مارين، المجلس الأعلى للأبحاث العلميَّة، معهد التَّعاون مع العالم العربيّ، د.ط، 1991م)، رقم (17)، (ص/22).

[38] البقرة، 159.

إذا أَسْنَتَتِ السَّنَةُ؛ قالتِ البَهائِمُ: هذا مِنْ أجْلِ عُصاة بني آدم، لَعَنَ اللهُ عُصاةَ بني آدم!!»[39].

وقال أيضًا في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ ﴾[40]: « إذا تَوَلَّى سَعَى في الأرضِ بالعُدْوَان والظُّلمِ، فيَحْبِسُ اللهُ بذلك القَطْرَ، فيُهْلِكُ الحَرْثَ والنَّسْلَ، واللهُ لا يحبُّ الفَسادَ. ثمَّ قرأ: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾[41]، ثمَّ قال: أمَا والله ما هو بحركم هذا، ولكن كلّ قريةٍ على ماءٍ جارٍ؛ فهو بحر »[42].

لذلك: « إذا أراد الإمامُ الخروج إلى الاستسقاء وَعَظَ النَّاس، وأمرَهم بالخروج من المظالم، والتُّوبة من المعاصي قبل أن يخرجَ؛ لأنَّ المظالم والمعاصي تمنع المطر »[43]. فعن سُفيان بن عُيَيْنَة، عن جامِعِ بن شَدَّادٍ، عن أبي وَائِلٍ، عن عبد الله بن مسعود – رضيَ الله عنه –؛ قال:« إِذَا بُخِسَ الْمِكْيَالُ حُبِسَ الْقَطْرُ، قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي: إِذَا تَظَالَمَ النَّاسُ، وَإِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَقَعَ الطَّاعُونُ، وَإِذَا كَثُرَ الْكَذِبُ كَثُرَ الْهَرْجُ »[44].

---

[39] ابن وهب، **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، (تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط1، 2003م)، رقم (24)، (13/1)، الطَّبريّ، **جامع البيان**، رقم (2378)، (254/3)، ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، رقم (1446)، (269/1).

[40] البقرة، 205.

[41] الرُّوم، 41.

[42] الطَّبريّ، **جامع البيان**، رقم (3985)، (240/4)، ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، رقم (1925)، (366/2).

[43] الشِّيرازيّ، **المهذَّب في فقه الإمام الشَّافعيّ**، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت)، (231/1).

[44] الخرائطيّ، **اعتلال القلوب**، (تحقيق: حمدي الدّمرداش، نزار مصطفى الباز، مكَّة المكرَّمة، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط2، 1421هـ، 2000م)، باب: ذم الزِّنا وأليم عقابه، رقم (174)، (92/1)، الخرائطيّ، **مساوئ الأخلاق ومذمومها**، (حقَّقه وخرَّج نصوصه وعلَّق عليه: مصطفى بن أبو النَّصر الشَّلبيّ، مكتبة السّواديّ للتَّوزيع، جدَّة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1413هـ، 1993م)، باب: ما جاء في الزِّنا من التَّغليظ وأليم العاقبة، رقم (468)، (ص/226)، أبو عمرو الدَّانيّ، **السُّنن الواردة في الفتن وغوائلها والسَّاعة وأشراطها**، (تحقيق: رضاء الله بن محمَّد إدريس المباركفوريّ، دار العاصمة، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1416هـ)، باب: ما جاء فيما ينزل من البلاء ويحلُّ من العقوبة بهذه الأمَّة إذا عَمِلَت بالمعاصي واشتهرت بالذُّنوب، رقم (325)، (689/3).

وقال عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [45]: « يَلْعَنُهُم كلُّ شيء؛ حتَّى الخَنافس، والعَقارب، يقولون: مُنِعْنَا القَطْرَ بذُنُوبِ بني آدم »[46]. قال ابن القيِّم بعد إيراده لبعض هذه الآثار:« فلا يكفيه عقابُ ذَنبه؛ حتَّى يَلْعَنُهُ من لا ذنب له»[47].

الحكمة الخامسة: التَّذكير بيوم القيَّام من القبور وما يأتي بعده من البعث والنُّشور:

إنَّ نزول المطر من المُزن العِظام يذكِّرُ باليوم الموعود الذي سيقوم فيه النَّاس لربِّ العالمين، ويتَجَلَّى ذلك في العديدِ من الآياتِ القرآنيَّةِ التي اسْتَدَلَّ بها الباري جلَّ وعلا على بَعْثِ الأموات بعد رَقْدَتِهِم، وإخراجِهم من قُبُورِهِم بعد اِنْدِثَارِهِم، فَشَبَّه هاذيك المشاهِد بالأمطار التي تحيي الأرض المَوَات، فتُخرج أصنافًا من النَّبات، وتسقي الزَّرع، وتذرُّ الضَّرع. ومن هذه الآيات النَّيِّرات:

1 – قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿5﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿6﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [48]. قال الرَّازيّ في تفسيرها كلامًا عجيبًا بديعًا نأتي به على طوله:« **ثانيها:** قوله تعالى:" وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى "؛ فهذا تَنْبِيهٌ على أنَّه لَمَّا لم يُسْتَبْعَدْ من الإلَهِ إيجادُ هذه الأشياءِ؛ فكيف يُسْتَبْعَدُ منه إعادةُ الأمواتِ؟. **وثالثُها:** قوله:" وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "؛ يعني: أنَّ الذي يَصِحُّ منه إيجادُ هذه الأشياء لا بُدَّ وأن يكونَ وَاجِبَ الإنصافِ لذاتهِ بالقُدْرَةِ، ومن كان كذلك؛ كان قادِرًا على جميعِ المُمْكِناتِ، ومن كان كذلك؛ فإنَّه لا بُدَّ وأن يكون قادِرًا على الإعادةِ. **ورابعها:** قوله:" وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ

---

[45] البقرة، 159.

[46] الطَّبريّ، **جامع البيان**، رقم (2382)، (255/3)، الثَّعلبيّ، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (تحقيق: أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير السَّاعديّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2002م)، (30/2)، القيسيّ، **الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، (تحقيق: مجموعة رسائل جامعيَّة بكليَّة الدِّراسات العليا والبحث العلميّ، جامعة الشَّارقة، بإشراف: الشَّاهد البوشيخيّ، النَّاشر: مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة، كليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة، جامعة الشَّارقة، ط1، 1429هـ، 2008م)، (528/1).

[47] ابن القيِّم، **الدَّاء والدَّواء**، فصل: شُؤم الذُّنوب، (ص/58).

[48] الحجّ، 05 – 07.

مَنْ فِي الْقُبُورِ "؛ والمعنى: أنَّه لَمَّا أقامَ الدَّلائِلَ على أنَّ الإعادةَ في نَفْسِها مُمْكِنَةٌ؛ وأنَّه سبحانه وتعالى قادِرٌ على كلِّ المُمْكِنَاتِ؛ وَجَبَ القَطْعُ بكَوْنِهِ قادِرًا على الإعادةِ في نَفْسِها، وإذا ثَبَتَ الإمكانُ والصَّادِقُ أخْبَرَ عن وقوعِهِ؛ فلا بُدَّ من القَطْعِ بوُقُوعِهِ، واعلم أنَّ تَحريرَ هذه الدَّلالةِ على الوجه النَّظَرِيِّ أن يُقالَ: الإعادةُ في نَفْسِها مُمْكِنَةٌ، والصَّادِقُ أخْبَرَ عن وُقُوعِها؛ فلا بُدَّ من القَطْعِ بوُقُوعِها »[49].

ثمَّ يواصل كلامه فيقول: « **أمَّا بيانُ الإمكان؛ فالدَّليلُ عليه**: أنَّ هذه الأجسامَ بعد تَفَرُّقِها قابِلَةٌ لتلك الصِّفاتِ التي كانت قائِمَةً بها حالَ كونِها حَيَّةً عَاقِلَةً، والبارئُ سبحانه عالِمٌ بكلِّ المعلوماتِ، قادِرٌ على كلِّ المَقدوراتِ المُمْكِنَةِ؛ وذلك يقتضي القطعَ بإمكانِ الإعادة لِمَا قلنا إنَّ تلك الأجسامَ بعد تَفَرُّقِها قابِلَةٌ لتلك الصِّفاتِ؛ لأنَّها لو لم تكُن قابِلَةً لها في وَقْتٍ لَمَا كانت قابِلَةً لها في شيءٍ من الأوقاتِ؛ لأنَّ الأمورَ الذَّاتِيَّةَ لا تزولُ، ولو لم تكُن قابِلَةً لها في شيءٍ من الأوقاتِ لَمَا كانت حَيَّةً عاقلةً في شيءٍ من الأوقاتِ، لكِنَّها كانت حَيَّةً عاقلةً؛ فوَجَبَ أن تكون قابلةً أبَدًا لهذه الصِّفاتِ »[50].

ليختم قائلاً: « **وأمَّا أنَّ البارئَ سبحانه يُمْكِنُهُ تحصيلُ ذلك المُمْكِنِ**؛ فلأنَّه سبحانه عالِمٌ بكلِّ المعلوماتِ؛ فيكون عالِمًا بأجزاءِ كلِّ وَاحِدٍ من المُكَلَّفين على التَّعْيِينِ، وقادِرًا على كلِّ المُمْكِناتِ؛ فيكون قادِرًا على إيجادِ تلك الصِّفاتِ في تلك الذَّوَاتِ. فثبَتَ أنَّ الإعادةَ في نَفْسِها مُمْكِنَةٌ، وأنَّه سبحانه يُمْكِنُهُ تحصيلُ ذلك المُمْكِنِ، فثَبَتَ أنَّ الإعادةَ مُمْكِنَةٌ في نفسِها. فإذا أخبرَ الصَّادِقُ عن وُقُوعِها؛ فلا بُدَّ من القَطْعِ بوُقُوعِها، فهذا هو الكلامُ في تقريرِ هذا الأصلِ. **فإن قيل**: فأيُّ مَنْفَعَةٍ لِذِكْرِ مراتِب خِلْقَةِ الحيوانات، وخِلْقَةِ النَّباتِ في هذه الدَّلالة؟ **قلنا**: إنَّها تَدُلُّ على أنَّه سبحانه قادِرٌ على كلِّ المُمْكِناتِ، وعالِمٌ بكلِّ المعلوماتِ، ومتى صَحَّ ذلك فقد صَحَّ كَوْنُ الإعادةِ مُمْكِنَةً؛ فإنَّ الخَصْمَ لا يُنْكِرُ المَعادَ

[49] الرَّازيّ، **مفاتيح الغيب**، (205/23 - 206).

[50] الرَّازيّ، **مفاتيح الغيب**، (206/23).

إلاَّ بِناءً على إنكارِ أَحَدِ هذَيْنِ الأصْلَيْنِ، ولذلك فإنَّ اللهَ تعالى حيث أقامَ الدَّلالةَ على البعثِ في كِتابه ذَكَرَ معه كَوْنَهُ قادِرًا عالِمًا »[51].

2 – قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[52]. قال ابن القيِّم في تفسيرها: « **فدَلَّ بالنَّظير على النَّظير، وقَرَّبَ أحدهما من الآخَر جِدًّا بلَفْظِ الإخراجِ**، أي: يخرُجونَ من الأرض أحياءً كما يخرُجُ الحَيُّ من المَيِّتِ، ويخرُجُ المَيِّتُ من الحَيِّ »[53].

3 – وقوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[54]؛ فهنا يُؤَكِّدُ المولى جَلَّ شَأْنُهُ وعَظُمَ فَضْلُهُ على قُدْرَتِهِ المُطلقة على إحياء المَوْتَى وبَعْثِهِم من جديد؛ لأنَّ القادِرَ على إحياء الأرض المَوَات قادرٌ على إحياء الأمواتِ، وهذا من بابِ: **الاستدلالِ بالشَّاهِد على الغائب**[55].

4 – وقوله أيضًا: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[56]. يقول ابن عاشور في تفسيرها: « **واخْتِيرَ من دَلائل الوَحْدانيَّةِ دَلالةُ تَجَمُّعِ أسبابِ المطر؛ لِيُفْضِيَ من ذلك إلى: تنظير إحياءِ الأموات بعد أحوالِ الفَناءِ بآثارِ ذلك الصُّنْعِ العجيبِ، وأنَّ الذي خَلَقَ وَسَائلَ إحياءِ الأرضِ قَادِرٌ على خَلْقِ وَسائل إحياءِ الذين ضَمِنَتْهُم الأرضُ على سبيلِ الإدماجِ** »[57].

---

[51] الرَّازيّ، **مفاتيح الغيب**، (206/23).

[52] الرُّوم، 19.

[53] ابن القيِّم، **إعلام الموقِّعين عن ربِّ العالمين**، (تحقيق: محمَّد عبد السَّلام إبراهيم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1991م)، فصل: قيَّاس الدَّلالة، (108/1).

[54] الرُّوم، 50.

[55] ينظر: الماورديّ، **النُّكت والعيون**، (تحقيق: السَّيِّد ابن عبد المقصود بن عبد الرَّحيم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت)، (321/5).

[56] فاطر، 09.

[57] ابن عاشور، **التَّحرير والتَّنوير**، (267/22).

ففي هذه الآية؛ يخبرُ تعالى عن كمال اقتداره، وسعة جوده، وأنَّه يُرسل الرِّياح فتثير سَحابًا؛ فيسوقه إلى الصَّحاري والبَيْداء، والأرض القاحلة الجرداء، التي تفتقر إلى الماء والغداء؛ فينزل عليها ما شاء من بركات السَّماء؛ فتحيا به البلادُ، ويُسقى منه العبادُ، وتَرْتَزِقُ من خَيْرَاتِهِ الحيوانات، وتَرْتَعُ في تلك الظِّلال الوَارِفَاتِ، وتَسْرَحُ عند تلك الرُّوض الوَافِرَاتِ؛ **كذلكَ الذي أَحْيَا الأرضَ بعد مَوْتِهَا، يَنْشُرُ الأمواتَ من قبورِهِم بعدما مَزَّقَهُم البِلَى، ويَبْعَثُهُم من نَوْمَتِهِم بعدما وَارَاهُم الثَّرَى**، فيسوق إليهم مَطَرًا كما سَاقَهُ إلى الأرضِ المَيِّتَةِ، فينزل عليهم فَتَحْيَا الأرواحُ والأجساد، وتقومُ من القبور بعد هَوْلِ الرُّفَات وطُول الرُّقاد، للقيَّام بين يديه ليَحْكُمَ بينهم، ويفصل بحُكْمِهِ العدل فيما عَمِلُوا[58]. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم –:« مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ[59]، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا؛ وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ »[60].

5 – وقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[61]. فمن آياتِ اللهِ تبارك وعَزَّ أنَّك ترى الأرض خاشِعَةً يابِسَةً، والخشوع هو: التَّذَلُّل، فاسْتُعِيرَ للأرض؛ إذا كانت قحطة لا نباتَ فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء اهْتَزَّت: أي تحرَّكت، ورَبَت أي: انْتَفَخت؛ لأنَّ النَّباتَ إذا دَنَا أن يظهرَ ارْتَفَعَت به وانْتَفَخت، ثمَّ تَصَدَّعَت عن النَّباتِ، وقيل: تَزَخْرَفَت وارْتَفَعَت بارتفاعِ نباتها، إنَّ الذي أحْيَاهَا بعد مَوْتِها

---

[58] ينظر: السَّعديّ، **تيسير الكريم المنَّان**، (ص/685).

[59] **أَبَيْتُ:** معناه: أبَيْتُ أن أقولَ في الخبر ما لم أسمعه. ينظر: ابن الأثير، **النِّهاية في غريب الحديث والأثر**، مادَّة " أبو "، (20/1).

[60] البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، (تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب: تفسير القرآن، باب:" يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا "، سورة النَّبأ، الآية18، رقم (4935)، (165/6)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الفتن وأشراط السَّاعة، باب: ما بين النَّفختَيْن، رقم (2955)، (2270/4).

[61] فصِّلت، 39.

وهُمُودِها؛ لمُحيي المَوْتَى بالبَعْثِ من قبورهم، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير، **فكما لم تعجز قُدْرَتُهُ عن إحياء الأرضِ بعد مَوْتِها لا تعجزه عن إحياء المَوْتَى**[62].

يقول ابنُ القيِّم مُنبِّهًا على هذه الحِكمة العظيمة بعدما أورد الآية السَّابقة: « **فدَلَّ سبحانه عِبادَهُ بما أرَاهُم من: الإحياءِ الذي تَحَقَّقُوهُ وشاهَدُوهُ؛ على الإحياءِ الذي اسْتَبْعَدُوهُ، وذلك قِياسُ إحياءٍ على إحياءٍ، واعتِبارُ الشَّيءِ بنَظِيرِهِ؛ والعِلَّةُ المُوجِبَةُ هي: عُمُومُ قُدْرَتِهِ سبحانه، وكمالُ حِكْمَتِهِ؛ وإحياءُ الأرضِ دليلُ العِلَّةِ** »[63].

6 – وقال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿9﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿10﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿11﴾ ﴾[64]. فما قيل في الآيات السَّابقة يقال في هذه الآية الكريمة، ممَّا يغني عن تكراره في هذا الموضع.

الحكمة السَّادسة: تذكير العباد بالقرآن والسُّنَّة اللَّذان تحيى بهما القلوب:

إنَّ من المُقرَّراتِ المقطُوعِ بها لدى أرباب الحِكمة وأصحاب الإيمان؛ أنَّ القرآنَ الكريمَ هو حياةُ القُلوبِ وبَلْسَمُها، وقَوَامُ الأرواحِ وعالَمُها، وهو السِّراجُ الوَهَّاج للبَصائر والأبصار، والماء العَذْبُ الثَّجَّاجُ للنَّظَرِ والاعْتِبَارِ، فمن لا حياةَ مَعنويَّة له قائمة في قَلْبِهِ وبين جَوَانِحِهِ؛ لا حياةَ حقيقيَّة يمتلكها في وُجُودِهِ وبين إخْوَانِهِ. فإنَّ: « الجَاهِلَ مَيِّتُ القلبِ والرُّوحِ، وإنْ كان حَيَّ البدنِ؛ فجسدُهُ قَبْرٌ يمشي به على وَجْهِ الأرض، قال الله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[65]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿69﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[66]، وقال

---

[62] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (182/7)، ابن عجيبة، **البحر المديد**، (181/5)، السَّعديّ، **تيسير الكريم المنَّان**، (ص/750).

[63] ابن القيِّم، **إعلام الموقِّعين**، فصل: قيَّاس الدَّلالة، (107/1).

[64] ق، 09 – 11

[65] الأنعام، 122.

[66] يس، 69 – 70.

تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾[67]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[68]، شَبَّهَهُم في مَوْتِ قُلوبِهِم بأهل القُبورِ؛ فإنَّهم قد مَاتَتْ أرواحُهم، وصارَت أجسامُهُم قُبورًا لها، فكما أنَّه لا يَسْمَعُ أصحابُ القُبورِ؛ كذلِكَ لا يَسْمَعُ هؤلاءِ، وإذا كانت الحياةُ هي: الحِسُّ والحَرَكةُ ومَلزومُهُما؛ فهذه القُلوبُ لَمَّا لم تُحِسَّ بالعِلمِ والإيمانِ، ولم تَتَحَرَّكْ له؛ كانت مَيْتَةً حقيقةً، وليس هذا تشبيهًا لِمَوْتِها بمَوْتِ البدنِ؛ بل ذلك مَوْتُ القَلْبِ والرُّوحِ»[69].

وعليه؛ فهُمَا حياتان:« حياةُ البدنِ بالرُّوحِ، وحياةُ الرُّوحِ والقَلْبِ بالنُّورِ، ولهذا سَمَّى سُبحانَهُ الوَحْيَ رُوحًا؛ لِتَوَقُّفِ الحياةِ الحقيقيَّةِ عليه، كما قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ ﴾[70]، وَقَالَ: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[71] وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾[72]، فجَعَلَ وَحَيَّهُ رُوحًا ونُورًا، فمن لم يُحْيِهِ بهذا الرُّوحِ فهو مَيِّتٌ، ومن لم يجعل له نُورًا منه فهو في الظُّلُماتِ ما لَهُ من نُورٍ »[73]. وعند تتبُّعنا لآيات الذِّكر الحكيم نجد أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالى يُقْرِنُ في مواطن عديدة ذِكْرَ القرآن الذي تَحْيَا به الأرواحُ والقُلُوبُ بالمَطَرِ الذي ينزل من السَّماء؛ فتَنْتَعِشُ به الأرضُ اليَبُوسُ الجَدُوبُ؛ ومن هذه الآيات الكريمات:

---

[67] النَّمل، 80.

[68] فاطر، 22.

[69] ابن القيِّم، **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**، (تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغداديّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط3، 1416هـ، 1996م)، (246/3).

[70] النَّحل، 02.

[71] غافر، 15.

[72] الشُّورى، 52.

[73] ابن القيِّم، **إعلام الموقِّعين**، (122/1).

1 – قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿19﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾[74].والمعنى: إنَّ مثل القرآن الذي تَحْيَا به القُلوبُ والأرواحُ كمثل الصَّيِّب الذي تَحْيَا به الأرضُ، والحيوانات، والنَّبات.

فأمَّا المؤمنُ؛ لمَّا أَدْرَكَ ما فيه من المنافع والمصالح، وما يَعُودُ عليه من المَغَانِم والمَرَابِح، وما يحصلُ به من حياةٍ؛ لم يَمنَعْهُ منه ما فيه من: رَعْدٍ، وبَرْقٍ؛ وهو: الوَعْدُ والوَعيد، والتَّرهيب والتَّهديد، والعُقُوبات والمَثُلاَت، التي حَذَّرَ اللهُ بها من خَالَفَ أَمْرَهُ. وأمَّا ما فيه من الأوامِر الشَّديدة، والتَّكاليف الشَّاقَّة؛ كالصَّلاة، والصّوم، وترك الرِّياساتِ، والجهاد مع الآباء والأمَّهات، وترك الأديان القديمة، والانقياد لمحمَّد ﷺ؛ فهي كالظُّلماتِ التي يُسبِّبها الغيمُ، ولكن من عَلِمَ مَوَاقِعَ الغَيْثِ، وما يحصلُ به من الحياةِ؛ لم يَسْتَوْحِش لِمَا معه من الظُّلمَةِ، والرَّعْدِ، والبَرْقِ؛ بل يَسْتَأْنِسُ لذلك ويفرح به لِمَا يَرْجُو من الحياةِ والخصْبِ.

وأمَّا المُنافِقُ؛ فإنَّه عَمِيَ قَلْبُهُ، ولم يجاوز بَصَرُهُ الظُّلْمَةَ، ولم يرَ إلاَّ بَرْقًا يخْطف الأبصار، ورَعْدًا عظيمًا يُقَطِّعُ الأفْئِدَةَ، وظُلْمَةً تَقْذِفُ الخَوْفَ والهَلَعَ في القُلوبِ؛ فاسْتَوْحَشَ من ذلك وخافَ منه، فوَضَعَ أصابِعَهُ في أذنَيْهِ؛ لئلا يسْمَعَ صوتَ الرَّعدِ، وهَالَهُ ذلك البَرْقُ وشِدَّةُ لَمَعَانِهِ، وعِظَمُ نُورِهِ؛ فهو خائِفٌ أن يَتَخَطَّفَ معه بصره؛ لأنَّ بَصَرَهُ أضعف من أن يَثْبُتَ معه، فهو في ظُلمَةٍ حالِكَةٍ، يسمع أصواتَ الرَّعْدِ القاصِف، ويرَى ذلك البَرْقَ الخاطِف، فإن أضاءَ له ما بين يديهِ مَشَى في ضوئِهِ، وإن فقد الضّوء قام مُتَحَيِّرًا لا يدري أين يذهب، ولِجَهْلِهِ لا يعلم أنَّ ذلك من لَوَازِمِ الصَّيِّب الذي به حياة الأرضِ والنَّبَاتِ، وحياته هو في نَفْسِهِ، فلا يدرك إلاَّ رَعْدًا وبَرْقًا وظُلْمَةً، ولا شعورَ له وراء ذلك، فالوحشة لازمةٌ له، والرُّعْبُ والفَزَعُ لا يُفَارِقُهُ. فمَثَلُ الإنسان الذي يُبَالِغُ في الاحترازِ عن الصَّيِّب الذي هو أشدُّ الأشياء نَفْعًا بسَبَبِ هذه الأمور المُقَارِنَةِ؛ من: رَعْدٍ، وبَرْقٍ، وغَيْمٍ؛ مثل المنافق يحترز عن القرآن بسَبَبِ هذه الأمور المقارنة؛ من: الأوامر الشَّديدة، والتَّكاليف الشَّاقَّة، فكلَّما أضاء

[74] البقرة، 19 – 20.

لهم مَشُوا فيه، أي: متى حَصَلَ لهم شيءٌ من المنافِع؛ كعِصْمَةِ أموالِهم، وحُصُولِ الغنائِم لهم؛ فإنَّهم يَرْغَبُونَ فِي الدِّينِ، وإذا أظْلَمَ عليهم قامُوا؛ أي: إذا لم يجدوا شيئًا من تلك المنافِع فحينئذٍ يكرهون الإيمان والقرآن، ولا يرغبون فيه، فهذه الوُجُوهُ ظاهِرَةٌ في التَّشبيهِ.

وكذلك الإشارة **لأصحاب الغَفَلاَتِ**؛ إذا طَرَقَ أسماعَهُم وَعْظُ الوَاعِظين، أو لاَحَت لقُلوبِهِم أنوارُ السَّعادةِ؛ ولو أقْلَعُوا عمَّا هم فيه من الغَفْلَةِ لسَعِدُوا؛ لكنَّهم رَكَنُوا إلى التَّشاغُل بآمالِهم الكاذِبَة، وأصرُّوا على طريقَتِهِم الفاسِدَة، وتَعَلَّلوا بأعذار وَاهِيَةٍ. فهذا مثلٌ مطابق للصَّيِّب الذي نَزَلَ به جبريل – عليه السَّلام – من عند ربِّ العالمين على قلب الصَّادق الأمين — عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم –؛ ليحيي به القلوبَ والوُجُودَ أجمع؛ اقتضت حِكْمَتُهُ أن يقارنَهُ من الغَيْمِ، والرَّعْدِ، والبَرْقِ ما يقاربُ الصَّيِّب من الماء، حِكَمًا بالِغَةً، وأسبابًا مُنْتَظَمَةً نَظَمَها العزيزُ الحكيم سُبحانه وتعالى[75].

2 – قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾[76]. فهذه الآية تشتمل على أمثال ضربها الله تعالى لعباده؛ فشبَّهَ إنزال القرآن الذي به الهدى والصَّلاح من السَّماء بإنزال الماء الذي به النَّفع والحياة من السَّماء، وشبَّه وُرُودَ القرآنِ على أسماع النَّاسِ بالسَّيل يمرُّ على مختلف الجِهات، فهو يمرُّ على التِّلال والجبال فلا يستقرُّ بها، ولكنَّه يمضي على الأوديَّة والوِهاد؛ فيأخذ منه كلٌّ بقدر سَعَته، وحجم استيعابه، ولمَّا كانت الأوديَّة ومجاري السُّيول فيها الغُثاء ونحوه ممَّا يمرُّ عليه السَّيلُ؛ فيحتمله السَّيلُ فيطفوا على وجه الماء زَبَدًا رابيًا، يمرُّ عليه مُتراكبًا، ولكن تحته الماء الفُرَات الذي به حياة الأرض؛ فيقذف الواديّ ذلك الغثاء إلى جَنْبَتَيْه حتَّى لا يبقى إلاَّ الماء الذي

---

[75] ينظر: القشيريّ، **لطائف الإشارات**، (76/1)، الزَّازيّ، **مفاتيح الغيب**، (315/2 - 316)، ابن القيِّم، **الوابل الصَّيِّب من الكلم الطَّيِّب**، (تحقيق: سيِّد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط3، 1999م)، باب: الذِّكر وحقيقة النُّور الإلهيّ، (ص/55-56)، بتصرُّف يسير.

[76] الرَّعد، 17.

تحت الغثاء، يسقي الله به الأرض، فيحيي به البلاد والعباد، والشَّجر والدَّواب، والغثاء يذهب جفاءً؛ يُجفى ويُطرح على شفير الوادي.

فكذلك هيئة نزول الآيات، وما تحتوي عليه من إيقاظ النَّظر فيها؛ فينتفع به من دخل الإيمان قلوبَهم على مقادير قُوَّة إيمانهم وعملهم، ويمرُّ على قلوب قومٍ لا يشعرون به؛ وهم المنكرون المُعرضون، ويُخالط قلوب قومٍ فيتأمَّلونه فيأخذون منه ما يُثير لهم شُبُهاتٍ وإلحادًا، فشبَّه قلوب الخلق بالجواهر الصَّافيَّة من الخبَث؛ كالذَّهب، والفضَّة، والنُّحاس، وغيرها؛ وشبَّه الباطلَ بخبث هذه الجواهر، وكما أنَّ الأوديَّة مختلفة في صغرها وكبرها، وأن بقدرها تحتمل الماء في القلَّة والكثرة؛ كذلك القلوب تختلف في الاحتمال على حسب الضّعف والقوَّة، وكما أنَّ السَّيل إذا حصل في الوادي يُطهِّرُ الوادي فكذلك القرآن إذا حصل حفظه في القلوب؛ نفى الوساوس والهوى عنها، وكما أنَّ الماء قد يَصحبه ما يكدِّره ويخلص بعضه ممَّا يشوبه، فكذلك الإيمان وفهم القرآن في قلوب المؤمنين حين تخلص من نزغات الشَّيطان، ومن الخواطر الرَّديَّة، فالقلوب بين صافٍ وكدر بحسب احتمالها للسُّيول[77].

3 – وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿16﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[78]. فإنَّ هذه الآيات تدلُّ العقول على العلم بالمطلب الإلهيَّة، والإرشادات الرَّبانيَّة؛ فالذي يحيي الأرض الميِّتة المُجذبة الهامدة بالغيث الوابل؛ قادرٌ على أن يُحييَ القلوب الميِّتة بما أنزله من الحقِّ على رسوله ﷺ، وما فيه من البراهين القاطعة، والدَّلائل الشَّافيَّة[79].

---

[77] ينظر: القشيريّ، **لطائف الإشارات**، (224/2 - 225)، الرَّازيّ، **مفاتيح الغيب**، (29/19)، ابن القيِّم، **الوابل الصَّيِّب**، (ص/57)، ابن عاشور، **التَّحرير والتَّنوير**، (117/13)، بتصرُّف يسير.

[78] الحديد، 16 – 17.

[79] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (21/8)، السَّعديّ، **تيسير الكريم المنَّان**، (ص/840).

يقول ابن عاشور: « **والمقصودُ: الإرشادُ إلى وَسِيلَةِ الإنابةِ إلى الله، والحَثِّ على تَعَهُّدِ النَّفسِ بالموعِظَةِ، والتَّذكيرُ بالإقْبالِ على القرآنِ، وتَدَبُّره، وكلامِ الرَّسولِ ﷺ، وتَعليمِهِ، وأنَّ في اللَّجَأِ إلى كِتابِ الله، وسُنَّةِ رسوله ﷺ نَجاةً، وفي المَفْزَعِ إليهما عِصْمَةً** »[80].

كما جاءت بعض الأحاديث النَّبويَّة – على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحيَّة – تشير إلى هذا المقصد العظيم؛ منها:

1 – عن أبي موسَى الأشعريّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال: « إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ؛ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ؛ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا، وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى؛ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[81] لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »[82].

ضَرَبَ النَّبيُّ ﷺ لما جاء به من الدِّين مَثَلاً بالغَيْثِ العام؛ الذي يأتي النَّاسَ في حالِ حاجَتِهِم إليه، وكذا حال النَّاس قَبْلَ مَبْعَثِهِ، فكما أنَّ الغَيْثَ يُحيي الأرضَ المَوَات؛ فكذلك نور القُرآن والسُّنَّة يحيي القلوبَ المَيْتَة، شَبَّهَ السَّامعين له بالأرض المختلفة التي يَنْزِلُ بها الغيث؛ **فمنهم**: من يقبل ما أنزل الله من العِلْمِ والهُدَى، وهو صاحبُ القلبِ النَّقي من الشَّكِ والشِّرك؛ فهو كالأرض المُتعطِّشة إليه، تَنْتَفِعُ به؛ فتحيا وتُنبتُ، وكذلك القلوب البريئة المُتعطِّشَة إلى مَعَالِم الهُدَى والدِّين، إذا وَعَت العِلْمَ حَيَت به، فعملت وأنبتت بما تحيا به أرماق النَّاس المحتاجين إلى مثل ما كانت القلوب الواعية تحتاج إليه؛ فذلك هو العالم

---

[80] ابن عاشور، **التَّحرير والتَّنوير**، (394/27).

[81] **قِيعَان**: جمع قاع؛ وهي: الأرض المُسْتَوِيَّة، وقيل: الأرض المَلْسَاء التي لا نبات ولا شجر فيها، وهو المراد هنا في الحديث النَّبويّ الشَّريف. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ)، مادَّة " قوع "، (304/8).

[82] البخاريّ، **صحيح البُخاريّ**، كتاب: بدء الوحيّ، باب: فضل من عَلِمَ وعَلَّم، رقم (79)، (27/1)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الفضائل، باب: بيان مثل ما بُعِثَ به النَّبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –، رقم (2282)، (1787/4).

العامل المُعلِّم. **ومنهم**: من قلوبهم مُتَهيِّئة لقبول العِلْمِ؛ لكنَّها ليس لها رسوخ الجبال، فهي تقبل حينًا وتمسك أحيانًا، حتَّى يأتي منها مُتَعطِّشٌ حريصٌ فيُرْوَى منها، ويَرِدُ على منهل يحيا به حياة الأوَّابين، وتُسْقَى به أرضٌ نقيَّة فتُنْبِتُ وتُثْمِرُ، وهذه حال من يَنْقُلُ العِلْمَ، ولا يعرفه ولا يفهمه، أو أنَّه الجامع للعِلْمِ، المُستغرق لزمانهِ فيه؛ غير أنَّه لم يعمل بنوافلهِ، أو لم يَتَفَقَّه فيما جَمَعَ. **ومنهم**: قلوبٌ تسمع الكلام والبيان، فلا تحفظ حروفه، ولا تفقه حدوده، فهي لا تنتفع به في نفسها، ولا تنقله إلى أهل القابليَّة من غيرها، ولا تنبت شيئًا بعد طول انتظار لإصغائها؛ كالسِّياخ المالحة التي لا تمسك الماء، ولا تُنبتُ الكلأ، أو كالأرض المَلْسَاء التي لا تقبل الماء، أو تفسده على غيرها. وإنَّما جمع في المثل بين الطَّائفتين الأوليَتين المحمودَتَين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطَّائفة الثَّالثة المذمومة لعدم النَّفع بها، فلا خير فيها[83].

2 – وعن أبي سَلَمَة بن عبد الرَّحمان بن عَوْفٍ ﷺ؛ قال: « سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »[84].

قال ابن القيِّم: « ذَكَرَ رُبُوبِيَّتَهُ تعالى لجِبْرِيل، وميكائيل، وإِسْرَافِيل؛ وهذا واللهُ أعلم لأنَّ المطلوبَ هُدَى يَحْيَا به القَلْبُ، وهؤلاء الثَّلاثة الأملاك قد جَعَلَ اللهُ تعالى على أيديهم أسبابَ حياةِ العِباد؛ **أمَّا جِبريلُ فهو: صاحِبُ الوَحْي**؛ الذي يُوحِيهِ اللهُ إلى الأنبياء، وهو سَبَبُ حياةِ الدُّنيا والآخِرَة، **وأمَّا ميكائيل فهو: مُوَكَّلٌ بالقَطْرِ**؛ الذي به سَبَبُ حياةِ كُلِّ شيءٍ،

[83] ينظر: ابن بطَّال، **شرح صحيح البخاريّ**، (تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط2، 1423هـ، 2003م)، (163/1)، ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البُخاريّ**، (رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، 1379هـ)، (171/1)، بتصرُّف يسير.

[84] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الصَّلاة، باب: الدُّعاء في صلاة اللَّيل وقيَّامه، رقم (770)، (534/1).

وأمَّا إسرافيل فهو: الذي يَنْفُخُ في الصُّور، فيحيي الله المَوْتَى بنَفْخَتِهِ فإذا هُمْ قيَّامٌ لربِّ العالمين »[85].

3 – عن عبد اللهِ بن مَسْعودٍ ﷺ؛ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: « مَا أَصَابَ مُسْلِمًا قَطُّ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ؛ فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ: أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَعَلَّمُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ »[86].

---

[85] ابن القيِّم، **مفتاح السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت)، (84/1).

[86] ابن أبي شيبة، **المصنَّف**، باب: ما قالوا في الرَّجل إذا أصابه همٌّ أو حُزن، رقم (29318)، (40/6)، أحمد بن حنبل، **المسند**، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وجماعة، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التُّركيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2001م)، مسند عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم (3712)، (346/6 – 347)، البزَّار، **مسند البزَّار**، عبد الرَّحمان بن إسحاق بن القاسم، رقم (1994)، (363/5)، أبو يعلى الموصليّ، **مسند أبي يعلى**، (تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتُّراث، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م)، مسند عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم (5297)، (198/9)، الدّينوريّ، المجالسة وجواهر العلم، رقم (1803)، (14/5)؛ وقال محقِّقه:" **إسناده حسن** "، ابن حبَّان، **صحيح ابن حبَّان**، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1993م)، ذكر الأمر لمن أصابه حُزنٌ أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إيَّاه فرَحًا، رقم (972)، (253/3)، الطَّبرانيّ، **المعجم الكبير**، رقم (10352)، (169/10)، الطَّبرانيّ، **الدُّعاء**، باب: الدُّعاء عند الكرب والشَّدائد، رقم (1035)، (ص/314)، ابن السُّنِّيّ، **عمل اليوم واللَّيلة سلوك النَّبيّ مع ربِّه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد**، (تحقيق: كوثر البرنيّ، دار القبلة للثَّقافة الإسلاميَّة ومؤسَّسة علوم القرآن، جدَّة، بيروت، د.ط، د.ت)، باب: ما يقول إذا أصابه همٌّ أو حُزْنٌ، رقم (340)، (ص/301)، الحاكم، **المستدرك على الصَّحيحين**، كتاب: الدُّعاء والتَّكبير والتَّهليل والتَّسبيح والذِّكر، رقم (1877)، (690/1)؛ وقال:" **هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم؛ إن سَلِمَ من إرسال عبد الرَّحمان بن عبد الله عن أبيه؛ فإنَّه مختلفٌ في سماعه عن أبيه** "، البيهقيّ، **القضاء والقدر**، (تحقيق: محمَّد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العُبَيْكان، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1421هـ، 2000م)، باب: ذكر البيان أنَّ الله تبارك وتعالى عادل في إضلال من شاء من عبيده، حكيمٌ في إنشائه الكُفر باطلاً فاسدًا قبيحًا خِلافًا للإيمان، رقم (359)، (ص/259)، البَيْهَقيّ، **الدَّعوات الكبير**، (تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، ط1، 2009م)، باب: الدُّعاء عند نزول كرب أو غمّ، رقم (184)، (269/1)، البَيْهَقيّ، **الأسماء والصِّفات**، (حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: عبد الله بن محمَّد الحاشديّ، قدَّم له: مقبل بن هادي الوادعيّ، مكتبة السّواديّ، جدَّة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1413هـ، 1993م)، باب: بيان أنَّ لله جلَّ ثناؤه أسماءً أخرى في قول النَّبيّ ﷺ:" لله تسعةٌ وتسعون اسمًا "؛ نفيُ غيرها وإنَّما وقع التَّخصيص بذكرها لأنَّها أشهر الأسماء وأبيَنُها معانيَ، وفيها ورد الخبر أنَّ من أحصاها دخل الجنَّة، رقم (07)، (27/1). **والحديث صحَّحه الألبانيّ**. ينظر: الألبانيّ، **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة**، رقم (199)، (383/1).

قال ابن القيِّم في فوائده:« **الرَّبيعُ: المطَرُ الذي يُحْيِي الأرضَ، شَبَّهَ القُرآن به لحياةِ القُلوبِ به، وكذلك شَبَّهَهُ اللهُ بالمَطَرِ وجَمَعَ بين الماء الذي تَحْصُلُ به الحياةُ، والنُّور الذي تَحْصُلُ به الإضاءَةُ والإشراقُ** »[87].

الحكمة السَّابعة: مقابلة نعمة الله بالشُّكر لا بالكُفر ونسبتها إلى الله تعالى:

إنَّ المطرَ من نعم الله العُظمى، وآلائه الكُبرى، التي ينبغي أن يقابِلَها المؤمن بالشُّكر والإقرار، لا أن يعاملَها بالكُفر والإنكار، وأَعْلَى مراتب هذا الحَمْدِ وأَوْلاَها: نِسْبَة فضل هذه الأمطار والخَيْرَاتِ إلى مَوْلاَها، وعدم الانحرافِ بها إلى بعضِ الكَوَاكِبِ وما وَالاَها، فإنَّ ذلك من مظاهر الجاهليَّة ومَفَاخِرِ المُوَاضَعَاتِ، التي كانت تمارسُها العَرَبُ على مختلفِ الأفراد والمجتمعاتِ؛ إذ أنَّهم كانوا يَسْتَسْقُونَ بالمَطَالِعِ والأنْوَاءِ، حتَّى طَلَعَت شمسُ التَّوحيدِ فحارَبَت تلك المَزَاعِم والأَدْوَاء، وأَبْطَلَت ما يَتْبَعُها من الظُّنون والأهواء، ودَعَت إلى نِسْبَةِ جميع هاذيك السُنن الكونيَّة على السَّواء؛ إلى الله جلَّ جلاله فهو مُسَيِّرُها ومُسخِّرها.

وأصل هذا المقصد؛ قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[88]، يقول السَّعديّ: «تجعلون مُقابَلَةَ مِنَّةَ الله عليكم بالرِّزق التَّكذيب، والكُفْر لِنِعْمَةِ اللهِ، فتَقُولُون: مُطِرْنَا بِنُوءِ كذا وكذا، وتُضِيفُون النِّعمة لغير مُسْدِيها ومُوَلِيهَا، **فهَلاَّ شَكرْتُم اللهَ تعالى على إحسانهِ، إذ أَنْزَلَهُ اللهُ إليكم ليَزيدَكُم من فَضْلِهِ، فإنَّ التَّكذيبَ والكُفْرَ دَاعٍ لرَفْعِ النِّعَمِ، وحُلُولِ النِّقَمِ** »[89].

وعن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ ﷺ؛ أنَّه قال: « صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ[90] كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ:

---

[87] ابن القيِّم، **الفوائد**، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط2، 1393هـ، 1973م)، (ص/26).

[88] الواقعة، 82.

[89] السَّعديّ، **تيسير الكريم الرَّحمان**، (ص/836).

[90] **إثر سماء**: أي:" إثر مطر، وسُمِيَ المطرُ سماءً لأنَّه ينزل من السَّماء، يُقال: ما زلنا نطأ السَّماء حتَّى أتيناكم؛ أي: المطر، ومنهم من يؤنِّثه وإن كان بمعنى المطر، كما يُذَكَّرُ السَّماء وإن كانت مؤنَّثة، كقوله تعالى: السَّماءُ مُنْفَطِرٌ به... ". ابن الأثير، **النِّهاية في غريب الحديث والأثر**، مادَّة " سَمَا "، (406/2).

هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ »[91].

قال ابن الملقن في بيان هذا المعنى:« النَّوْءُ: الكوكب، وجمعه: أَنْوَاءٌ، وهي: ثمانية وعشرون نَجْمًا، معروفة المَطَالِع في أزمنة السَّنةِ كلّها، يَسْقُطُ منها في كلِّ ثلاثة عشر نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر مُقابله في المشرق في ساعتهِ، وسُمِيَ نَوْءً؛ لأنَّه إذا سَقَطَ السَّاقطُ ناءَ الطَّالعُ، وذلك النُّهوضُ هو النَّوْءُ، فسُمِيَ النَّجمُ نَوْءً لذلك، وانقضاء هذه الثَّمانية والعشرين مع انقضاء السَّنةِ، وكانت الجاهليَّةُ إذا سَقَطَ منها نَجْمٌ وطلع آخر؛ يقولون: لا بُدَّ أن يكون عند ذلك مَطَرٌ وريَّاحٌ، فيقولون: مُطِرْنَا بنَوْءِ كذا »[92]. فلمَّا أنعمَ الله على عباده بالإسلام، وخلَّصَ اعتقاداتهم من أدران الجاهليَّة؛ أرشدهم رسول الله ﷺ إلى أنَّ: «سقوط المطر من فعل الله دون غيرهم، وأبطل قولهم »[93].

والتَّأكيد على هذا المقصد العظيم لتجديد التَّوحيد في كلِّ زمان، وإدامة الاعتناء به على مرِّ الأيَّام، وإقامة مسائله على تراخي الأعوام، فلقد أخبر رسول الله ﷺ أنَّ الاستسقاء بالنُّجوم من الجاهليَّة الأولى التي ستبقى عند بعض أفراد أمَّته؛ لذلك وجبَ التَّحقيق في مثل هذه النَّوازل العقديَّة. فعن أبي مالك الأَشْعَرِيّ ﷺ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ »[94].

---

[91] البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، كتاب: الصَّلاة، باب: يستقبل الإمام النَّاسَ إذا سلَّم، رقم (846)، (169/1)، أبواب: الاستسقاء، باب: قول الله تعالى" وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ "، الواقعة، الآية/82، رقم (1038)، (33/2)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإيمان، باب: بيان كُفر من قال: مُطرنا بالنَّوْءِ، رقم (125)، (83/1).

[92] ابن الملقن، **التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح**، (دار الفلاح للبحث العلميّ وتحقيق التُّراث، دار النَّوادر، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ، 2008م)، (316/7).

[93] ابن رجب، **فتح الباري شرح صحيح البخاريّ**، (تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وجماعة، مكتبة الغرباء الأثريَّة، المدينة المنوَّرة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1417هـ، 1996م)، (259/9).

[94] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الجنائز، باب: التَّشديد في النِّياحة، رقم (934)، (644/2).

قال الدَّهلويّ: « **إنَّما تَفَطَّنَ النَّبيُّ ﷺ أنَّهم لا يتركون؛ لأنَّ ذلك مُقْتَضى إفراط الطَّبيعة البَشَريَّة بمنزِلَة الشَّبَقِ، فإنَّ النُّفُوسَ لها: تَيْهٌ يَظْهَرُ في الأنسابِ، وأُلْفَةٌ بالأمواتِ تَسْتَدْعي النِّياحةَ، ورَصْدٌ يُؤَدِّي إلى الاسْتِسْقَاء بالنُّجومِ، ولذلك لن تَرَى أمَّةً من البَشَر من عَرَبِهم وعَجَمِهِم إلاَّ وهذه سُنَّةٌ فيهم** »[95].

الحِكمة الثَّامنة: الجزاء من جنس العمل:

إنَّ من الأمور المُسلَّمات؛ أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة متى خَالَفَت أوَامِرَ ربِّها، وتَخَلَّفَت عن سُنَّةِ نَبِيِّها، وأَتْلَفَت تعاليمَ مِلَّتِها، وتزَلَّفَت ببَحْرِ آثامِها وسُيُول ذُنُوبِها، وأرْدَفَت المعاصي ولم تَكْتَرِثْ بمَصابِها؛ ابْتَلَى اللهُ أفْرَادَها وعاجَلَهُم بخَطِيَّات أهْلِها، وامْتَحَنَهُم بسِلْسِلَةٍ من الابتلاءاتِ التي لا قِبَل لهم بها؛ حتَّى يَتُوبُوا إلى ربِّهم، ويُقْلِعُوا عمَّا أَحْدَثُوا في دينهم، ويُقبِلوا إلى رحاب إيمانِهم، ومن هذا القبيل جاءت مسألةُ ابتلاء الأمَّة بالقَحْطِ والجَدْبِ، وذهاب الرَّطْبِ والخصْبِ، وحُلول الأوجاع وانتشار الطَّاعون والحَربِ، كما يظهر نُقْصٌ في الأموالِ والثَّمرَاتِ، وبَخْسٌ في الأرزاقِ والخَيْرَاتِ؛ بسَبَبِ ما اقْتَرَفَتْهُ أيديهم الباغيَّة العَوْجَاء، وما اِجْتَرَحَتْهُ أعمالُهم الطَّاغيَّة العرجاء، وما اِرْتَسَمَتْهُ ظِلالُهم من سيِّئاتٍ على كافَّة الأصعدة ومختلف الأرجاء؛ ولا يرفع الله عنهم هذا الخراب والدَّمار، ولا يكشف ما بهم من تَقَهْقُرٍ وافْتِقَار، ولا ينزل عليهم من بركات الثُّلوج والأمطار؛ حتَّى يغيِّروا سيرَتهم، ويُصَحِّحُوا جَريرَتهم.

وأصل هذا المقصد؛ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[96]. والمعنى: أنَّ ربَّ العزَّة والجلال لا يُغيِّرُ ما بالقوم من نعمة الأبدان وأمان الأوطان، ووفرة الخيرات وتكاثر الأموال؛ حتَّى يُغيِّروا ما بأنفسهم وما بمجتمعاتهم؛ بأن يرحلوا عن ساحة الشُّكر وواحة الإيمان، إلى ظُلمات الجحود وأوديَّة الكُفران، ويتحوَّلوا من نور الخضوع والخنوع والطَّاعة، إلى زور المخالفة والمعصيَّة والإضاعة. وكذلك الحال؛ إذا غيَّر العباد

[95] الدَّهلويّ، **حجَّة الله البالغة**، (تحقيق: سيِّد سابق، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 2005م)، (59/2).
[96] الرَّعد، 11.

ما بأنفسهم من الانحراف والانحلال والضَّلال، إلى روح الانقياد وملازمة الأحكام، وتابوا إلى مولاهم من سيِّئات الأعمال والاعتقادات، وأبدلوها بمحاسن السُّلوك وما صَلُح من العادات؛ غيَّر الله الوضع الذي هم فيه، فيقلب النِّقمة نعمة، ويحوِّل الجَذْب إلى الخِصْب، وينتشلهم من خواطئ الجفاف ودواعي الشَّقاء إلى شاطئ الكفاف ومساعي البقاء. فكلُّ ظاهرة فيها إقدام وإحجام، وتقدُّمٌ وتخلُّف، من بعثة رسول الله – عليه الصَّلاة والسَّلام – إلى يومنا هذا؛ إنَّما تمَّ تحت سُلطان هذه السُّنَّة الإلهيَّة[97].

وممَّا يُؤيِّد هذه السُّنَّة الإلهيَّة، ويزيد في تجليَّة هذا المقصد العظيم؛ قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[98]، وقول الله تعالى أيضًا: ﴿جَزَآءٗ وِفَاقٗا﴾[99].

الحِكمة التَّاسعة: أخذ العباد بمزيج من الرَّخاء والشِّدَّة تحقيقًا للعبوديَّة

الاختياريَّة لله: إنَّ: « هذه الدُّنيا دار تكليف وليست دار تشريف، ثمَّ إنَّها ممرّ إلى مقرّ، وليست موطن استقرار وبقاء، إذن فيجب أن يكون في دار التَّكليف ما يناسبها، ممَّا ينسجم مع عبوديَّة الإنسان لله، وأن لا يزيد نعيمها وخيراتها على بُلغة المسافر، وعلى ما تحويه استراحة الطَّريق. هذا بالإضافة إلى أنَّها ينبغي أن تكون المناخ المناسب الذي تتجلَّى فيه عبوديَّة الإنسان لله عزَّ وجلَّ. ثمَّ إنَّ هذه السُّنَّة الإلهيَّة الماضيَّة في عباده؛ هي ضمانة تلاقيهم تحت مظلَّة العدل، واجتماعهم على التَّعاون لتحقيق مصالحهم المشتركة، وهي الحصن الذي يقيهم من تَسَرُّب أسباب الظُّلم والطُّغيان إلى علاقة ما بينهم؛ هذا إن كانوا مؤمنين بالله عزَّ وجلَّ »[100].

---

[97] ينظر: السَّعديّ، **تيسير الكريم المنَّان**، (ص/414)، البوطيّ، **من سُنن الله في عباده**، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1435هـ، 2014م، (ص/162 – 163).

[98] الأنفال، 53.

[99] النَّبأ، 26.

[100] البوطيّ، **من سُنن الله في عباده**، (ص/18 – 19).

والحِكمة من ذلك؛ أنَّ:« الإنسان إذا تقلَّب في حياتهِ في مزيج من السرَّاء والضَّرَّاء، استيقظت مشاعر عبوديَّته لله بين جوانحه، فقادَهُ ذلك إلى الخضوع لسُلطان الله، والانقياد لشَرْعهِ، فيغدو بذلك عبدًا لله بسلوكه الاختياريّ، في علاقته مع ربِّه، وعلاقته مع سائر النَّاس، فهل يكون له من سبيل عندئذٍ إلى ظلم الآخرين، أو انتقاصهم، أو سَلب شيء من حقوقهم، أو الإساءة إليهم؟ إنَّ سلطان العبوديَّة لله إذا هَيْمَنَ على مشاعر الإنسان طَرَدَ هذه الآفات كلّها من كيانه، وَمتَّعَهُ بالإنسانيَّة المُثلى، الصَّافية عن سائر الشَّوائب »[101].

الخاتمة (نسأل الله حسنها):

بعد هذا التَّطواف بين سُنن الله في عباده؛ تنتهي الدِّراسة إلى تسجيل ما تَمَخَّضَت عنه هذه الورقات من نتائج وتوصيَّات:

أوَّلاً: نتائج البحث: في ختام هذه الورقات؛ يطيب لي أن أقدِّم ما قاد إليه البحثُ من نتائج؛ وهي مسطورة كالآتي:

1 – هناك العديد من الحِكم الشَّرعيَّة والمِنح المرعيَّة من نزول المطر، تعود بالخير العظيم، والجزاء الجميم على عقيدة المؤمن وسلوكه، متى أحسن التَّدبُّر والامتثال، وانقاد لما فيها من المقاصد العِظام؛ لينتهي به التَّطواف إلى أنَّ تدبير الله جلَّ شأنه وعظُمَ فَضلُه في هذا الكون لا يكون إلاَّ لحِكم عديدة، ومنافع رشيدة، في العاجل والآجل.

2 – إنَّ كُتبَ التَّفسير، وشروح الحديث؛ قد ضمَّت بين جَنَباتها كمًا لا بأس به من الحِكم الشَّرعيَّة والمقاصد المرعيَّة، من السُّنن والتَّدابير الكونيَّة، وإن لم تُفردها بالتأليف ولم تعمد إلى التَّصريح بها في طيَّاتها؛ فقد نالت حصة الأسد فيها.

[101] البوطيّ، **من سُنن الله في عباده**، (ص/19).

3 – إنَّ الاهتمام بالسُّنن الكونيَّة والتَّدبير المُنتظمة في هذا الوجود، والتَّحقيق في بعض الأسرار المُنبعثة وراء حصولها؛ من شأنه أن يزيد في تعلُّق المؤمن بخالقه، ويشحن تمسُّكه الرَّزين بعقيدته، كما يُسهم ذلك في دفع بعض الشُّكوك والظُّنون التي قد تراوده من حين لآخر، بخصوص هذه الظَّواهر الكونيَّة، والطُّقوس الرَّبَّانيَّة.

ثانيًا: توصيَّات البحث وآفاقه: إنَّ هذه الورقة البَحثيَّة توصي بما يلي:

1 – ضرورة الكتابة في موضوع:" **الحِكم الشَّرعيَّة والمِنح المرعيَّة من بعض السُّنن الكونيَّة** "، كالحِكم المرجوَّة والمِنح المُلتمسة من وراء: **الرِّيَّاح العاتمة القويَّة، والزَّلازل والهزَّات الأرضيَّة، والقصف والرَّعود المدَوِّية، وتنوُّع فصول السَّنة، ونزول حبَّات الثَّلج والبَرَد، وتعاقب اللَّيل والنَّهار**، ومحاولة تجميع ما كُتبَ حولها من الحِكم والأسرار، والكشف عمَّا قيل فيها من المقاصد العليَّة الأقدار، لزيَّادة إيمان العبد بربِّه، وتوثيقًا لعقيدته وتصديقًا لأمره.

2 – التَّأكيد على ضرورة إقامة مُلتقيات وطنيَّة وأيَّام دراسيَّة حول:" **حِكمة التَّشريع الإسلاميّ وفلسفته في العقائد والأحكام** "، من أجل التَّصدِّي لشُّبَه المُشكِّكين في سماحة الشَّريعة الإسلاميَّة واعتدالها، ورد أباطيلهم، وكشف زيغها وغيِّها، وبيان محاسن هذا الدِّين وتجليَّة صلاحيَّته لكلِّ زمان ومكان.

قائمة مصادر البحث ومراجعه:

- ابن أبي حاتم، أبو محمَّد عبد الرَّحمان بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التَّميميّ الحنظليّ الرَّازيّ (ت: 327هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمَّد الطَّيِّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط3، 1419هـ.
- ابن أبي شَيبة، أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم بن خواستيّ العبسيّ (ت: 235هـ)، **المصنَّف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1409هـ.
- ابن أبي نُعَيْم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهانيّ (ت: 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار السَّعادة، بجوار محافظة مصر، د.ط، 1394هـ، 1974م.
- ابن الأثير، أبو السَّعادات مجد الدِّين المبارك بن محمَّد بن محمَّد الشَّيبانيّ الجزريّ (ت: 606هـ)، **النِّهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزَّاويّ، ومحمود محمَّد الطّناحيّ، المكتبة العلميَّة، بيروت، د.ط، 1399هـ، 1979م.
- ابن السُّنِّيّ، أحمد بن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم الدَّيْنُوريّ (ت: 364هـ)، **عمل اليوم واللَّيلة: سلوك النَّبيّ مع ربِّه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد**، تحقيق: كوثر البرنيّ، دار القبلة للثَّقافة الإسلاميَّة، جدَّة، مؤسَّسة علوم القرآن، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن الملقن، أبو حفص سراج الدِّين عمر بن علي بن أحمد الشَّافعيّ (ت: 804هـ)، **التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح**، دار الفلاح للبحث العلميّ وتحقيق التُّراث، دار النَّوادر، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ، 2008م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الخزرجيّ الأنصاريّ الأندلسيّ (ت: 578هـ)، **المستغيثين بالله تعالى عند الملمَّات والحاجات**، دراسة وتحقيق: مانويلا مارين، المجلس الأعلى للأبحاث العلميَّة، معهد التَّعاون مع العالم العربيّ، د.ط، 1991م.
- ابن بطَّال، أبو الحسين علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، **شرح صحيح البُخاريّ**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط2، 1423هـ، 2003م.
- ابن حبَّان، أبو حاتم محمَّد بن حبَّان بن أحمد التَّميميّ الدَّارميّ البُستيّ (ت: 354هـ)، **صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط2، 1414هـ، 1993م.
- ابن حَجَر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد العَسقلانيّ (ت: 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاريّ**، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محبّ الدِّين الخطيب، عليه تعليقات سماحة الشَّيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1379هـ.
- ابن حميد، صالح بن عبد الله بن محمَّد، **توجيهات وذكرى**، دار التَّربيَّة والتُّراث، مكَّة المكرَّمة، مكتبة الضَّيَّاء، جدَّة، المَمْلَكَة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1419هـ.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حَنبل الشَّيبانيّ (ت: 241هـ)، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وجماعة، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2001م.

- ابن رجب الحنبليّ، زين الدِّين عبد الرَّحمان بن أحمد بن رجب بن الحسن السّلامي البغداديّ ثمَّ الدِّمشقيّ (ت: 795هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البُخاري**، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنوَّرة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1417هـ، 1996م.
- ابن سَعد، محمَّد بن سَعد بن منيع الزّهريّ (ت: 230هـ)، **الطَّبقات الكبير**، تحقيق: علي محمَّد عمر، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.
- ابن عاشور، محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الطَّاهر التُّونسيّ المالكيّ (ت: 1393هـ)، **التَّحرير والتَّنوير**، الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر، تونس، 1984م.
- ابن عَجيبَة، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهديّ الأنجريّ الفاسيّ (ت: 1224هـ)، **البحر المَديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان، النَّاشر: حَسَن عبَّاس زَكيّ، القاهرة، مصر، د.ط، 1419هـ.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571هـ)، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمُّوريّ، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، د.ط، 1415هـ، 1995م.
- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي أو الدَّاء والدَّواء**، دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ، 1997م.
- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، **إعلام الموقِّعين عن ربِّ العالمين**، تحقيق: محمَّد عبد السَّلام إبراهيم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1991م.
- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**، تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغداديّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ، 1996م.
- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، الوابل الصَّيِّب من الكلم الطَّيِّب، تحقيق: سيِّد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط3، 1999م.
- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، **مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العِلم والإرادة**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، **الفوائد**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط2، 1393هـ، 1973م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ البصريّ ثمَّ الدّمشقيّ (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ (ت: 273هـ)، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، فيصل عيسى البابي الحلبيّ، د.ط، د.ت.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم بن علي الأنصاريّ الرّويفعيّ الإفريقيّ (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- ابن وهب، أبو محمَّد عبد الله بن وهب بن مسلم المصريّ القرشيّ (ت: 197هـ)، **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

- أبو داود، سُليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزديّ السِّجستانيّ (ت: 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.
- أبو زُهرَة، محمَّد بن أحمد بن مُصطفى بن أحمد المصريّ (ت: 1394هـ)، **زهرة التَّفاسير**، دار الفكر العربيّ، مصر، د.ط، د.ت.
- أبو عُبَيْد، القاسم بن سلاَّم بن عبد الله الهرويّ البغداديّ (ت: 224هـ)، **غريب الحديث**، تحقيق: محمَّد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العُثمانيَّة، حيدر آباد، الدِّكن، ط1، 1384هـ، 1964م.
- أبو عمرو الدَّانيّ، عُثمان بن سعيد بن عُثمان بن عمر (ت: 444هـ)، **السُّنن الواردة في الفتن وغوائلها والسَّاعة وأشراطها**، تحقيق: رضاء الله بن محمَّد إدريس المباركفوريّ، دار العاصمة، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1416هـ.
- أبو يعلى الموصليّ، أحمد بن علي بن المُثنَّى بن يحيى التَّميميّ (ت: 307هـ)، **مسند أبي يعلى**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتُّراث، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م.
- الألبانيّ، أبو عبد الرَّحمان محمَّد ناصر الدِّين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودريّ (ت: 1420هـ)، **صحيح أبي داود**، مؤسَّسة غراس للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، ط1، 1423هـ، 2002م.
- الألبانيّ، أبو عبد الرَّحمان محمَّد ناصر الدِّين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودريّ (ت: 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، دار المعارف، الرِّياض، المَمْلَكَة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، بدأت عام: 1415هـ/1995م، وانتهت عام: 1422هـ/2002م.
- البُخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل الجعفيّ (ت: 256هـ)، **صحيح البُخاريّ**، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ.
- البزَّار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكيّ (ت: 292هـ)، **مسند البزَّار**، تحقيق: محفظ الرَّحمان زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشَّافعيّ، مكتبة العلوم والحِكم، المدينة المنوَّرة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، بدأت عام: 1988م، وانتهت عام: 2009م.
- بعداش، بوبكَّر، **أثر الاختلاف في التَّعليل في الفقه الإسلاميّ**، دار الكلمة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1437هـ، 2017م.
- البوطيّ، محمَّد سعيد رمضان (ت: 1434هـ)، **من سنن الله في عباده**: قوانينه المُنبئة عن عدله وبياناته المُجيبة عن اعتراضاتك، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1435هـ، 2014م.
- البَيْهَقِيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ (ت: 458هـ)، **السُّنن الكبرى**، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م.
- البَيْهَقِيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ (ت: 458هـ)، **شعب الإيمان**، حقَّقه وراجع نصوصه وخرَّج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد النَّدويّ، مكتبة الرُّشد للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، الدَّار السَّلفيَّة، بومباي، الهند، ط1، 1423هـ، 2003م.

- البَيْهَقِيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ (ت: 458هـ)، **القضاء والقدر**، تحقيق: محمَّد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العُبَيْكان، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط1، 1421هـ، 2000م.
- البَيْهَقِيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ (ت: 458هـ)، **الدَّعوات الكبير**، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، ط1، 2009م.
- البَيْهَقِيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ (ت: 458هـ)، **الأسماء والصِّفات**، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: عبد الله بن محمَّد الحاشديّ، قدَّم له: مقبل بن هادي الوادعيّ، مكتبة السّواديّ، جدَّة، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط1، 1413هـ، 1993م.
- الثَّعلبيّ، أبو إسحاق أحمد بن محمَّد بن إبراهيم (ت: 427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير السَّاعديّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2002م.
- الحاكم، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه الضّبّيّ الطّهمانيّ النَّيسابوريّ المعروف بـ:" ابن البيع " (ت: 405هـ)، **المستدرك على الصَّحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م.
- الخرائطيّ، أبو بكر محمَّد بن جعفر بن محمَّد بن سَهل السَّامريّ (ت: 327هـ)، **اعتلال القلوب**، تحقيق: حمدي الدّمرداش، نزار مصطفى الباز، مكَّة المكرَّمة، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط2، 1421هـ، 2000م.
- الخرائطيّ، أبو بكر محمَّد بن جعفر بن محمَّد بن سَهل السَّامريّ (ت: 327هـ)، **مساوئ الأخلاق ومذمومها**، حقَّقه وخرَّج نصوصه وعلَّق عليه: مصطفى بن أبو النَّصر الشَّلبيّ، مكتبة السّواديّ للتَّوزيع، جدَّة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1413هـ، 1993م.
- الدَّهلويّ، الشَّاه ولي الله أحمد بن عبد الرَّحيم بن الشَّهيد وجيه الدِّين بن معظم (ت: 1176هـ)، **حجَّة الله البالغة**، تحقيق: سيِّد سابق، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 2005م.
- الدّينوريّ، أبو بكر أحمد بن مروان المالكيّ (ت: 333هـ)، **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: أبي عُبَيْدة مشهور بن حَسَن آل سَلمان، جمعيَّة التَّربيَّة الإسلاميَّة، أم الحصم، البحرين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د.ط، 1419هـ.
- الرَّازيّ، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن التَّيمي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازيّ، العروف بـ:" خطيب الرَّيّ " (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب أو التَّفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط3، 1420هـ.
- السَّعديّ، عبد الرَّحمان بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرَّحمان في تفسير كلام المنَّان**، تحقيق: عبد الرَّحمان بن معلا اللّويحق، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م.
- الشَّافعيّ، أبو عبد الله محمَّد بن إدريس بن العبَّاس المطَّلبيّ القرشيّ المكِّيّ (ت: 204هـ)، **الأم**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، 1410هـ، 1990م.
- الشّيرازيّ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت: 476هـ)، **المُهذَّب في فقه الإمام الشَّافعيّ**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- الصَّنعانيّ، أبو بكر عبد الرَّزَّاق بن إبراهيم بن نافع الحميريّ اليمانيّ (ت: 211هـ)، **المصنَّف**، تحقيق: حبيب الرَّحمان الأعظميّ، المجلس العلميّ، الهند، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط2، 1403هـ.

- الطَّبرانيّ، أبو القاسم سُليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللَّخميّ الشَّاميّ (ت: 360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مكتبة ابن تيميَّة، القاهرة، ط2، د.ت.
- الطَّبرانيّ، أبو القاسم سُليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللَّخميّ الشَّاميّ (ت: 360هـ)، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمَّد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسنيّ، دار الحَرَمَيْن، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الطَّبرانيّ، أبو القاسم سُليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللَّخميّ الشَّاميّ (ت: 360هـ)، **مسند الشَّاميِّين**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1984م.
- الطَّبرانيّ، أبو القاسم سُليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللَّخميّ الشَّاميّ (ت: 360هـ)، **الدُّعاء**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ.
- الطَّبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير الآمليّ (ت: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م.
- العزيزيّ، علي بن الشَّيخ أحمد بن الشَّيخ نور الدِّين بن محمَّد بن الشَّيخ إبراهيم (ت: 1070هـ)، **السِّراج المنير شرح الجامع الصَّغير في حديث البشير النَّذير**، د.د، د.ط، د.ت.
- القاسميّ، محمَّد جمال الدِّين بن محمَّد بن قاسم الحلاّق (ت: 1332هـ)، **محاسن التَّأويل**، تحقيق: محمَّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ.
- القشيريّ، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك (ت: 465هـ)، **لطائف الإشارات، أو تفسير القشيريّ**، تحقيق: إبراهيم البسيونيّ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، مصر، ط3، د.ت.
- القِنوجيّ، أبو الطَّيِّب محمَّد صديق خان بن حَسَن بن علي ابن لطف الله الحسينيّ البخاريّ (ت: 1307هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، عُنِيَ بطبعه وقدَّم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاريّ، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، د.ط، 1412هـ، 1992م.
- الماورديّ، أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصريّ البغداديّ (ت: 450هـ)، **النُّكت والعيون أو تفسير الماورديّ**، تحقيق: السَّيِّد ابن عبد المقصود بن عبد الرَّحيم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- مسلم، أبو الحسَن مسلم بن الحجَّاج القشيريّ النَّيسابوريّ (ت: 261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.
- مكِّي بن أبي طالب، أبو محمَّد حمُّوش بن محمَّد بن مختار القيسيّ القيروانيّ ثمَّ الأندلسيّ القرطبيّ المالكيّ (ت: 437هـ)، **الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعيَّة، كليَّة الدِّراسات العليا والبحث العلميّ، بإشراف: الشَّاهد البوشيخيّ، النَّاشر: مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة، كليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة، جامعة الشَّارقة، ط1، 1429هـ، 2008م.
- المناويّ، زين الدِّين محمَّد المدعو بـ: عبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي الحداديّ ثمَّ القاهريّ (ت: 1031هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصَّغير**، المكتبة التِّجاريَّة الكُبرى، مصر، ط1، 1356هـ.
- المولى أبو الفداء، أبو الفداء إسماعيل حقِّي بن مصطفى الحنفيّ الخلوتيّ الاستانبوليّ (ت: 1127هـ)، **روح البيان**، دار الفِكر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.